عبد الرحمن محمد عبد الماجد ـ ود الكبيدة

# النظم الفريد فى علم التوحيد

النظم الفريد فى علم التوحيد
عبدالرحمن محمد عبدالماجد ـ ود الكبيدة

# النظم الفريد
# فى علم التوحيد

تأليف : عبد الرحمن محمد عبد الماجد (ود الكبيدة)

فهرسة المجلس الوطني للإعلام – أبو ظبي
المؤلف: عبد الرحمن محمد عبد الماجد (ود الكبيدة)
كتاب: النظم الفريد فى علم التوحيد
ط 1. – الخرطوم: مطبعة عهد، 1429هـ - 2008م
72 ص؛ 20 سم
رقم الإيداع: 14 / 2008م
رقم المطبوع: 1/100122/18321 أبو ظبي
1. الفقه الإسلامى
2. الإسلام – التوحيد

**قال تعالى:**

**﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلّا**

**هو الرحمن الرحيم﴾**

البقرة 163.

صدق الله العظيم.

**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

**" أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى قول:**

**(لا إله إلا الله وحده لا شريك له)** "– أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه، باب فضل أيام العشر، ج4، ص 378، حديث رقم 8125.

بسم الله الرحمن الرحيم

## خطبة الكتاب

الحمد لله المتفرد بالوحدانية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البرية، وعلى آله وصحابته أولى الأفضلية، وبعد.

إن توحيد الله عز وجل هو أساس الدين الإسلامى وروحه، بل هو أساس وروح كل الديانات السماوية المنزلة من الله عز وجل على جميع رسله الكرام، قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ - الأنبياء: 25، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى قول: (لا إله إلا الله، وحده لا شريك له)" – رواه عبد الرازق فى مصنفه: باب فضل أيام العشر، ج 4، ص 378، حديث رقم 8125. والتوحيد هو معرفة صفة المولى عز وجل، وصفاته لا حصر لها، إذ يجب فى حقه تعالى كل صفات الكمال ويستحيل فى حقه كل صفات النقص، ولكنه تعالى – رحمة بنا – أوجب علينا معرفة صفاته العشرين، وأسقط عنا التكليف بمعرفة غيرها. وهذه الصفات العشرون التى كُلِّف المسلم بمعرفتها هى ما سنذكره من صفات الواجب فى حقه تعالى والمستحيل فى حقه تعالى وأضدادها مع صفة الجائز فى حقه تعالى.

قال الإمامان الجليلان القشيرى وأبو حامد الغزالى: "لا يشك عاقل أن العارف بما يجب لله تعالى من أوصاف الجلال ونعوت الكمال، وبما يستحيل عليه من الاتصاف بكل صفة لم تبلغ غاية النهاية من الكمال المطبق أفضل من العارف بمجرد الأحكام. قال ابن عبد السلام: بل العارفون بالله أفضل من العارفين بالأصول والفروع لأن العلم يشرف بشرف معلومه وثمراته، والعلم بالله وبصفاته أفضل من العلم بكل معلوم من جهة أن متعلقه أفضل وأشرف المعلومات وأكملها وثمراته أفضل الثمرات وأجلها إذ معرفة كل صفة من الصفات توجب حالاً عليه، وعنها تنشأ ملابسة كل خلق سنى والتجرد عن كل خلق دنى، فمن عرف

سعة الرحمة أثمرت معرفته سعة الرجاء، ومن عرف شدة النقمة أثمرت معرفته شدة الخوف وأثمر خوفه الكف عن كل معصية ...." إلى أن قال: "ومن شهد تفرده بالنفع والضر لم يعتمد إلّا عليه ولم يفوض أمره إلّا إليه" – أنظر الفتاوى الحديثية، لأحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمى، ص 128.

وبمعرفة صفات المولى عز وجل يتم للمسلم معرفة التوحيد وتنزيه الله تعالى عن الشريك والشبيه والمثيل والنظير والمكافئ والند؛ قال تعالى: ﴿ليس كمثله شئ﴾ - الشورى: 11، فالمماثلة تقتضى المساواة من كل وجه، والمشابهة تقتضى ذلك فى الأكثر، والمناظرة تكفى فى وجه واحد، والمكافئ والند كالمماثل. وتنزيه الله تعالى عن الشريك يرجع لإيمان المرء بصفات الكمال لله تعالى، فهو بالأحرى تنزيه لقلب المرء عن ران اعتقاده الإشراك. وتنزيه القلب وطهارته من دنس الشرك من أول ضروريات الدين، فهو الطهارة المعنوية التى عليها تقوم العقيدة الإسلامية؛ قال سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى: "التطهير من الجنابة المعنوية مقدم على الحسية، فالحسية ربما رُخِّص لصاحبها فى بعض الأوقات، والمعنوية لا يُرَخَّص فيها البتة" – قاله صاحب كتاب الحكم، للشيخ أحمد الطيب البشير، ص 78.

والمؤمنون فى إيمانهم بتوحيد الله عز وجل على قدر معرفتهم ويقينهم. قال فى قواعد التصوف: "لكل فريق من المعرفة طريق، فمن سبق لسره وجود الحقيقة استدل بالحق على الخليقة، ومن سبق له وجود الخليقة ترقى بالنظر فيها إلى الحقيقة"، وفى نفس المعنى قال: "ومن غلب عليه النظر للحق باسقاط الخلق كان عارفاً" – قواعد التصوف، للعلامة الشيخ أحمد زروق، القاعدة 113، ص 60.

وحقيقة المعرفة الحادثة إنما هى الجزم المطابق عن ضرورة أو برهان، فقولنا الجزم احتراز من الظن وهو الاحتمال الراجح، ومن الشك وهو الاحتمال المساوى، ومن الوهم وهو الاحتمال المرجوح. وقولنا المطابق احتراز من الجهل المركب وهو أن يكون المرء جاهلاً بالشئ ويجهل أنه جاهل به، أى يظن أنه على معرفة وحق، فهذا الجهل المركب هو جزم غير مطابق

لما فى نفس الأمر كجزم الفلاسفة بقدم الأفلاك، وكجزم اليهود والنصارى بسلامتهم من الخلود فى النار يوم القيامة. وقولنا عن ضرورة أو برهان احتراز من جزم المقلد، فإنه ليس بمعرفة وإن كان مطابقاً لما فى نفس الأمر ويسمى فى الاصطلاح اعتقاداً، ومعنى الضرورة إلجاء المولى سبحانه النفس لأن تجزم بأمر جزماً ما مطابقاً بلا تأمل بحيث لو حاولت أن تدفع عن نفسها ذلك الجزم بالتشكيك أو نحوه لم تقدر، ومثاله جزمنا بوجود أنفسنا - قاله صاحب شرح صغرى الصغرى، لأبى عبد الله محمد بن يوسف السنوسى، ص 9. ويأتى هذا الجزم لمن كتب الله الإيمان فى قلبه، ولهذا جاز اعتقاد العوام المقلدين لأن المقلد صدق بقلبه ونطق بلسانه. فالتقليد ينبنى على تجربة الغير ومعرفته، أى على الإسناد وتواتر الخبر اللذين يقعان ضمن المعارف اليقينية، ولهذا فقد طالبهم الشارع بمجرد السمع، قال تعالى: ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأنّ فى أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم﴾ – لقمان: 7. وصاحب السمع مقلد. إلّا أن العلماء يخشون على المقلِّد رجوعه برجوع مقلَّده، ولهذا فهم يتوخون معرفة الواجب والمستحيل والجائز فى حقه تعالى بمقتضى الدليل والحكم العقلى وهو اثبات أمر أو نفيه بالدليل النظرى والتأمل الفكرى لكى يتيقن الناظر ويثبت إيمانه. (فإن ما توقفت عليه المعجزة من صفات المعانى والصفات المعنوية فدليلها عقلى، والذى أوجبها هو الشرع. بمعنى أنه إذا جاءنا رسول وقال لنا إنى مرسل من عند الله وآية صدقى انشقاق القمر مثلاً، يحتاج الأمر إلى استفادة هذه الصفات – مثلاً استفادة أن صفة قدرة الله تعالى أن يفعل ما يشاء – من العقل أولاً، وإلّا بأن استفيدت من الرسول لزم الدور) – ذكره فى شرح الصاوى على جوهرة التوحيد، ص 104، وانظر أيضاً حاشية العدوى على شرح رسالة ابن أبى زيد القيروانى، ج 1، ص 49. هذا فى نظر بعض العلماء. غير أن هنالك من الناس من يؤمن بالرسول ثقة فيه ومحبة فيه، أى ثقة ومحبة لا تقبلان الجدال ولا تطلبان البرهان لا لهما ولا عليهما، وهذا من قبيل الإيمان بالغيب الذى هو ركن من أركان الدين. فلو كانت المعجزة ملزمة بالإيمان لما جحدت الأمم السابقة الرسالات السماوية ولما أشرك بعض العرب. ولقد

كان صدق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الإلهيات نابع من صدقه فى أمور حياته ومعاشه، ولهذا استشهد هو صلى الله عليه وسلم على صدق نبوته بصدق سيرته بينهم، روى أنه: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف: "يا صباحاه"، فقالوا: من هذا الذى يهتف قالوا: محمد فاجتمعوا إليه فقال: "يا بنى فلان يا بنى فلان يا بنى فلان يا بنى عبد مناف يا بنى عبد المطلب" فاجتمعوا إليه فقال: "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟" قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: "فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد" – أخرجه مسلم فى صحيحه، ج 3، 89 باب بيان قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، ص 83، حديث رقم 355 (208).

ولكننا فى كتابنا هذا – خشية التعقيد والإطالة – لا نطيل الوقوف كثيراً على الدليل النظرى بمصطلحات المنطق وعلم الكلام.

وأعلم أن قولنا الواجب والمستحيل والجائز فى حقه تعالى إنما نعنى به الحكم العقلى الذى ينحصر فى أقسام الحكم العقلى الثلاثة.

**أقسام الحكم العقلى من حيث الوجوب والاستحالة والجواز:**

1- **الواجب:** وهو ما لا يتصور فى العقل عدمه، أو هو الثابت الذى لا يقبل الانتفاء.

2- **والمستحيل:** وهو ما لا يتصور فى العقل وجوده، أو المنفى الذى لا يقبل الثبوت.

3- **والجائز:** وهو ما يصح فى العقل وجوده وعدمه، أى ما يقبل الثبوت تارة ويقبل النفى تارة أخرى على سبيل التناوب.

ولهذه الأحكام العقلية تقسيمات أخرى هى كما يلى:

**أقسام الحكم العقلى من حيث الضرورى والنظرى:**

أ) الضرورى: وهو ما لا يفتقر إلى تأمل.

ب) النظرى: وهو ما يدرك بالتأمل وإعمال الفكر.

فمثال الحكم العقلى فى الواجب الضرورى كون الثلاثة أكثر من اثنين، ومثال الواجب النظرى ثبوت القدم لمولانا عز وجل فإن العقل لا يدركه إلا بعد النظر والتأمل فيما يترتب على نفيه من المستحيلات كالدور والتسلسل ونحوهما، (والدور هو كون الشئ الواحد متقدم ومتأخر فى نفس الوقت، أى هو توقف كل واحد من هذين الشيئين على الآخر، ومثاله دخولك على مدير الشركة يحتاج إلى إذن مكتوب منه، والإذن المكتوب منه لا تحصل عليه بغير دخولك على هذا المدير)، (والتسلسل هو لا تناهى الأمر، أى هو أن تبرهن على الادعاء على قضية ما ببرهان يحتاج إلى برهان ثانى وهذا البرهان الثانى يحتاج إلى ثالث وهكذا إلى ما لا نهاية وبهذا يبطل الإدعاء الأول). ومثال الواجب النظرى – أيضاً – كون الثمانية نصف ربع الأربعة وستين. ومثال المستحيل الضرورى خلو الجسم من الحركة والسكون معاً بحيث لا يوجد فيه واحد منهما، ومثال المستحيل النظرى كون الذات العلية جرماً. ومثال الجائز الضرورى اتصاف الجرم بخصوص الحركة، فإن العقل يدرك ابتداءً صحة وجودها وصحة عدمها، ومثال الجائز النظرى تعذيب المطيع الذى لم يعص الله قط، فإن العقل قد ينكر جواز هذا ابتداءً، بل يتوهمه مستحيلاً، وأما بعد النظر فى أن الأفعال كلها بالنسبة لله تعالى سواء لا تنفع ولا تضر فيدرك جواز ذلك.

ولله تعالى الأسماء الحسنى والصفات السنية، والصفة هى المعنى القائم بالموصوف، والموصوف من قام به ذلك المعنى، والاتصاف قيام الصفة به، والواصف هو المخبِر بذلك، والوصف هو خبر الواصف.

وقد نظمنا صفات المولى عز وجل فى أبيات شعرية. يقولون إن الشعر هو ديوان العرب، أى أن القارئ يجد فيه سيرة حياتهم من أحداث وأفكار ومعتقدات وعادات وتقاليد وعواطف وفنون.

ونقول إن الشعر مدرسة العرب، فعن طريقه سجل العلماء علمهم فى شتى المعارف، ونظموها فى قصائد تطول أو تقصر؛ فهنالك المنظومة المسماة (حرز الأمانى ووجه التهانى)

فى قراءات القرءان الكريم للإمام الشاطبى؛ قصيدة عبد الواحد بن عاشر فى الفقه المالكى المسماة (المرشد المعين على الضرورى من علوم الدين)؛ (المقدمة فيما على قارئ القرءان أن يعلمه) فى فن تجويد تلاوة القرءان الكريم لابن الجزرى؛ (لامية ابن الورد) فى التصوف والأخلاق؛ (ألفية ابن مالك) فى النحو؛ وكتب السيرة النبوية المسماة بـ (الموالد)، مثل كتاب (العقد المنظم فى ذكر مولد الرسول المكرم صلى الله عليه وسلم) للشيخ محمد المجذوب، وغيرها من الأشعار التى صيغت بهدف نشر العلم وتوصيله للدارس.

وهذه القصيدة نظمناها بهدف التعليم والإرشاد فى مضمار علم التوحيد. ورتبناها على توطئة ذكرنا فيها سند المذهب الفقهى الذى استقينا منه علم التوحيد وهو المذهب المالكى، وأتينا فيها بالدعاء والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، وحيث أن التقليد العلمى فى أوساط العلماء يذكر سند الإرشاد و تلقى العلم فقد نسبنا فضل تعليمنا بعد الله تعالى إلى شيخنا الشيخ دفع الله الصائم ديمه بالسودان – أمدرمان – أمبدة – الحارة الرابعة. ثم بعد سرد صفات مولانا عز وجل ختمنا القصيدة بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والدعاء للناظم وإخوته فى الله تعالى.

وصفات مولانا عز وجل تذكر بـ (**ال**) التعريف للعهد القديم فى حق مولانا القديم عز وجل، فإنه تعالى الواحد القادر الغنى .... إلى آخر ما له من صفات سنية وأسماء حسنى؛ أما فى حقنا فهى للعهد الذكرى الذى نستذكره من تجلى مولانا عز وجل بصفاته وتعريفه إيانا بها، إذ التكليف بالمعرفة فى هذا المضمار إنما هو توقيفى وجب بالشرع لا بالعقل. إذاً فهى صفات قديمه (معرفة بـ "**ال**")، ولكننا فى القصيدة اسقطنا الألف واللام لضرورة الشعر، وربما أفادت النكرة تميزها بالإضافة، فنقول – مثلاً – وجود يليق به تعالى، وقدم يليق به تعالى، لا يشاركه فيهما أحد، وهكذا لكل الصفات العلية الأخرى.

وتسهيلاً للقارئ لفهم معانى التوحيد قمنا – كما ذكرنا سابقاً – بشرح وجيز لصفات المولى عز وجل توخينا فيه عدم التعقيدات الفلسفية فى إيرادنا للأدلة العقلية، فلم نورد مجادلات علماء الكلام والجدل، بل اعتمدنا على تقريرات العلماء والكتب التى أقرّها أهل السنة أمثال: (شرح أم البراهين على السنوسية): تأليف العلامة الشيخ أحمد عيسى الأنصارى؛ (حاشية العقباوى على شرحه لعقيدة الدردير فى التوحيد): تأليف الشيخ مصطفى بن أحمد العقباوى؛ (شرح العلامة أحمد محمد البرنسى الفاسى المعروف بزروق على متن الرسالة للإمام أبى محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى)؛ (حاشية العدوى على شرح أبى الحسن المسمى كفاية الطالب الربانى لرسالة ابن أبى زيد القيروانى فى مذهب الإمام مالك رضى الله عنه)؛ (شرح جوهرة التوحيد "للإمام إبراهيم اللقانى") للشيخ أحمد بن محمد الصاوى؛ (وإحياء علوم الدين) للإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى؛ (شرح صغرى الصغرى) لأبى عبد الله محمد بن يوسف السنوسى؛ (زبد خلاصة التصوف) للشيخ العز ابن عبد السلام؛ (كتاب الحكم) للشيخ أحمد الطيب البشير؛ (حاشية الصاوى على تفسير الجلالين)؛ (الجامع لأحكام القرءان) لأبى عبدالله محمد بن أحمد القرطبى، وغيرها من المراجع والكتب. كما رجعنا قبل كل ذلك إلى الأدلة النقلية وهى القرءان الكريم وكتب الحديث الشريف والسنة النبوية الشريفة وهما من أوجب الأدلة الإيمانية، وليس بعد قولهما قول لمن ألقى السمع وهو شهيد. بل إن الأدلة العقلية نفسها مستقاة من القرءان الكريم والسنة النبوية الشريفة. فمدار الدليل العقلى على الوجود الواجب للخالق يكمن فى قوله عز وجل: ﴿أم خُلِقوا من غير شئ أم هم الخالقون﴾ – الطور: 35؛ ثم معرفة الفرق بين القديم والحادث، أى الفرق بين الخالق والمخلوق من صفات تليق بكل منهما. وقد أجملها القرءان الكريم فى قول الله تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ – النحل: 17.

والحكم فى هذه الصفات هو أنه يجب على المكلف شرعاً أن يتعلم أحكام كل صفة من هذه الصفات الواجبة لله تعالى، ويعتقد المكلف فيها الجزم الموافق للحق، أة أن يكون فى

اعتقاده جازماً ويقيم الدليل موقناً مصدقاً قطعاً، وليس عن تقليد لمنعه فى علم العقائد إن كان فى المقلد أهلية للنظر، فإن لم يكن له أهلية للنظر فلا نتهمه فى عقيدته – كما ذكرنا سابقاً. فقد اكتفى العلماء بصحة التقليد فى مسائل التوحيد، ولهذا قال بعضهم بصحة اعتقاد من لا دليل له على اعتقاده.

ومسائل التوحيد تشمل الإلهيات من صفات المولى عز وجل مما يجب فى حقه تعالى ويستحيل عليه ويجوز له، كما تشمل النبوات، أى ما يجب على الرسل ويجوز ويستحيل فى حقهم، كما تتضمن السمعيات مثل أحوال المعاد من سمعيات عن الجنة والنار والميزان والصراط والملائكة والقضاء والقدر وغير ذلك مما ورد فى القرءان الكريم والسنة النبوية الشريفة مما لا يتوقف الإيمان به على النظر العقلى. ولكننا فى هذا النظم قد اقتصرنا على صفات الله تعالى دون غيرها من مسائل التوحيد.

كما أننا قد تسامحنا فى بعض من قواعد النحو العربى، فقلنا: "كونه سميع بصير، كونه حى" بدلاً عن: "كونه سميعاً بصيراً، كونه حياً"، وذلك لأن القصيدة أُلفت فى الأساس للإنشاد والترنم بها فى جلسات المديح والإنشاد الدينى لكى يسهل بهذا الترنم حفظ ما جاء فيها من معانى التوحيد، فاقتضت موسيقى الترنم هذا التجاوز فى النحو العربى.

ولكن توخياً للفائدة تم شرحها – بما فيها من تجاوزات وضرورات شعرية.

فنسأل الله أن ينفع بها المسلمين، ويتقبل منا ويغفر زللنا إنه نعم المولى ونعم النصير.

عبد الرحمن محمد عبد الماجد(ود الكبيدة).

22 / نوفمبر / 1997م.

# نص القصيدة

لا إلـهَ إلّا اللـهْ     محمدٌ رسـولُ اللْه
عليـها نموت بـإذن اللّهْ     وتَنْطُقُ بالمحبّة شِفَـاهْ
أول بـادى فى التَّرْنيـمْ     كما ذهب الإمام مـالكْ
بالمولى اللطيف وكـريم     مِنْ الغيهـوب والحـالِكْ
أثنى القول صـلاة وتسليـم     بِعَد مَنْ نالوا أفضـالك
على النبى الـرؤوف ورحيـم     وهـازم للعدو الهـالك
صـايم ديمه شيخنا فهيـم     مُبدِّد حيرةَ السـالك
زاد فهمـنا والتعليـم     وليت القلب يلقى مـناه
صفات مولانا بالعشريـنْ     صفاتُ المفرد الواحـدْ
وجودٌ قبل كـل تكويـنْ     صفة نفسِيَّة للشاهـدْ
ووحـدانية للذاكريـن     كما قد هلَّل الزاهـد
قدم وبقاء بغير سنيـن     بلا مولود ولا والـد
مخالف خلقه الحـاثين     وقائم بالنفس مـاجتد
وهذى قد سلبن الشيـن     وشيـئاً لا يليق بالله
قـدرة إرادة والثنتـانْ     تعلقـا بالذى أمـكنْ
سمع وبصر بلا عينـانْ     تعلقا بالتى وُجِـدَنْ

كلام وعلم بلا أزمــــــــان | تعلـقا بالجميع عِلْـــــــــمَاً
لها سبع المطالب كـــــــان | وجــودُها فــــى (صفات سَلَبَنْ)
حياة بـل سـواه الفــــان | ولا تعلـــــــــــق لها أبــداً
فـإن السـبع هـذى معـــــان | قيام معناهــــــا بـــذات الله
صفاتـه المعنويـة تفــــيدْ | قـــيامـها بمعـــــــــانيها
كـونـه قــادراً ومريـــــــــدْ | سميــــع وبصـــير بخـــافيها
متكلـم عالــــم وعلمـه تليد | بــلا كــــــــيفٍ ولا جِهـــةْ
كونـه حى صفـات الســــيد | تنزَّهَ عـــــن شــــبيهِ لـــــها
وكــــل ممكـن بـلا تحـــديد | يجوز يفعل وخلّيــــــــــــها
ومـن المستحيـل وبعـــــيد | عكس ما جاء فى أعـــــلاه
صــــلاة وتسليم على القُرَشى | وآلٍ وايضـــــاً الصَّحْــــبِ
بِعَــــدِ مَــنْ يقـرأ بالـورشى | وبالبرزنجـــى والعزبـــــى
تـزيــد لإخــــوتى وعيشى | ود الكــــــبيدة نــال إربِ
رواهـا لـــــيروى مــن عطـش | لعـلم الكســب والــوهـب
نـوحـــــــد دونمـا غــش | ونسير بشـــرع خيرِ نــــبى
نَجــــــــدُّ لله دوام نمشـــى | والإســــلام يـزد فـــى عـــلاه

## شرح القصيدة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، قال الناظم:

### لا إلــه إلا الله  محمد رسول الله

هذه هى كلمة التوحيد والتى هى إحدى قواعد الإسلام الخمس وأركانه التى وردت فى الحديث: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" – أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، ج1، ص36، الحديث رقم 1 (8). وقال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلّا الله﴾ – محمد: 19. بدأت الآية بلفظ العلم – فاعلم – لأن المعرفة الواجبة على كل إنسان هى معرفة الله عز وجل بأنه إله واحد له الصفات السَّنيِّة والأسماء الحسنى، وهذا هو العلم النافع لصاحبه فى الدارين – الدنيا والأخرى. (أعلم) فعل أمر يوحى بأن معرفة التوحيد فرض عين، وهذا الأمر تكليف شرعى أتت به كل رسالات الأنبياء؛ كما يقول الأشاعرة (وهم أتباع الإمام أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى) والماتريدية (وهم أتباع الإمام أبى منصور محمد بن محمد الماتريدى). فعلى مذهب كل من الأشاعرة والماتريدية لا حكم قبل بعثة الرسول – لا أصلياً كالعقائد، ولا فرعياً كالصلاة. فالتكليف عندهم قد وجب بالشرع. فإن قلتَ الحكم قديم، قلتُ المراد لا يتعلق بالحكم تعلقاً تنجيزياً. فلا يستقل العقل بكونه يفيد الوجوب قبل مجئ الرسل فيكون مجئ الرسل مؤكداً ومستفاداً من الشرع تبعاً للعقل (أى معونة للعقل) كما زعمت المعتزلة – ذكره صاحب حاشية العقباوى، ص 14.

والآية: ﴿فاعلم أنه لا إله إلّا الله﴾ - محمد: 19 قد سبقها قوله تعالى: ﴿فهل ينظرون إلّا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ - محمد: 18، وهى آيات تتحدث عن أشراط الساعة وعلاماتها التى قال العلماء أن منها بعثة النبى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر – ذكره الصاوى فى حاشيته على تفسير الجلالين، ج 4، ص 114؛ فهذه علامات حسية. وحرف (الفاء) فى (فاعلم) رابط بين الآية وما قبلها مما يوحى بأن معرفة التوحيد يؤيدها الدليل الحسى المسنود بمنطق القدم للذات العلية وتدبيره تعالى شؤن خلقه ومنها الموت وقيام الساعة؛ كما أن هذا الدليل مسنود بمنطق الحدوث لمخلوقاته عز وجل، وفناء هذه المخلوقات بقيام الساعة، كما يفنى أحدهم بالموت، وهو مشاهد. وهذا الدليل يخرج المرء من ربقة التقليد، كما سوف نرى من أدلة عقلية.

أما عبارة: (محمد رسول الله) فهى لازمة لإكمال شهادة الإسلام وتمام الإيمان. فإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته يأتيان من طاعة المسلم لله تعالى، وتخلع على المطيع خلع الهداية؛ قال تعالى: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا﴾ - النور: 54. إن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد ختمت جميع الرسالات، وشريعته نسخت كافة الشرائع السماوية الماضية. فقد أرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكل العالمين من إنس وجن وملائكة وجماد وحيوان؛ فإيمان الملائكة به هو إيمان تشريف لا تكليف، أى أنهم كلفوا بتوقيره وتعظيمه ورفع ذكره – ذكره صاحب شرح أم البراهين وقال ذكره الإمام السبكى والحافظ السيوطى. أما الجمادات والحيوانات – وإن كانت غير مكلفة – فإنه تشريفاً له صلى الله عليه وسلم قد جعل الله تعالى فيها من الإدراكات ما بمقتضاها آمنت به وأطاعته كالحجر والشجر والضب والظبى وغيرها، فكلها تسبح الله بلسان المقال حقيقة، وتؤمن به صلى الله عليه وسلم؛ قال الله سبحانه وتعالى فى محكم تنزيله: ﴿وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾ - الأنبياء: 107.

إذاً فالدخول فى دين الإسلام يقتضى الإيمان بتوحيد الله وألوهيته سبحانه وتعالى، وهذا الإيمان يتم وفقاً للمنهج الشرعى الذى أوحاه المولى عز وجل إلى رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلّا هو فهل أنتم مسلمون﴾ - هود: 14.

وشهادة (لا إله إلّا الله) قدمت النفى على الإثبات وفى ذلك إشارة إلى أن بداية الطريق كما ذكر القوم هو التخلية ثم تعقبها التحلية، أى تخلية القلب من الران ثم تحليته بصفات الإيمان، ثم ما زال السالك يسمو فى سلم الترقى الروحى حتى يبلغ درجة تخلية القلب مما سوى الله وتحليته بالله أى تخليته من كل ما يغضب الله وتحليته بكل ما يرضى الله – والله واسع عليم، أى تخلية القلب من ظلمات النفس وتحليته بنور الله، وفى نفس المعنى فقد عرّف الإمام الجنيد - شيخ الصوفية – التصوف بأنه أن يميتك الحق عنك ويحييك به؛ يميتك معنوياً بإزاحة صفاتك الدنية، ويحييك روحياً بصفاته السنية، كأن يجعلك كريماً رحيماً وغيرها من صفات الخير بحسب الوسع البشرى. كما أن فى تقديم النفى على الإثبات إشارة إلى أنه لا يتم بقاء إلا بعد فناء، فأكمل درجات الولى هى البقاء بعد الفناء، ويجمعها فناء الرذائل وبقاء الفضائل. فكذلك لا يكتمل التوحيد إلّا بنبذ الشركاء ونفى الأضداد.

كما أن النفى فيه إفادة النهى والزجر، مما يشير إلى أن النفس ما لم تزجر عن هواها لا تطيع مولاها، قال الله عز وجل: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ - ص: 26. كما أن التوجيه الربانى للنبى صلى الله عليه وسلم قد بدأ بالنذارة قبل البشارة لما فى النذارة من تخلية، فقال تعالى: ﴿قم فأنذر﴾ - المدثر: 2، ثم تأتى البشارة لمن آمن وتحلى بالفضائل. ولهذا كان جماع الدين فى العبودية لله تعالى، وفى ذل النفس وزجرها والزهد فى الدنيا وحرمان النفس من ملذاتها فى المطعم والملبس وحب المال والجاه والسلطان. قال العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الطيب البشير رضى الله عنه: "الإرشاد فى الطريقة، تعريف النفوس بما يكون فيها من البؤس، وتعيين الدواء لكل ما يرد على الباطن من الواردات النحوس" - ذكره فى

كتابه "الحكم"، ص 158. فالصوفية عندما يقدمون التخلية على التحلية ويبدأون مقاماتهم بالتوبة لا يخرج أمرهم عن ميزان الشرع ومقياس الفقه، فالفقهاء يقدمون درء المفاسد على جلب المصالح.

وقيل: "فإن قلت (لا إله) فقد فنى كل شئ، أى كل مخلوق وإن اتخذ إلهاً بالباطل، وإذا قلت (إلّا الله) فلم يبق شئ سوى الله تعالى" – ذكره الشيخ العز بن عبد السلام فى كتابه زبد خلاصة التصوف المسمى بحل الرموز، ص 28. نقول إن الإستثناء بعد النفى يفيد الحصر، فانحصرت الألوهية فى الله تعالى.

وفى قوله تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾ الإخلاص: 3، 4، نجد أسلوب النفى والسلب هو الطريقة المثلى حين الحديث عن ذات تجهل كنهها. وهذا السلب أتى فى أخص معانى التوحيد: شهادة "لا" إله إلّا الله، وفى إجمال الصفات: "ليس" فى: ﴿ليس كمثله شئ﴾ الشورى: 11 .

**ما ورد فى فضل "لا إله إلّا الله":**

ورد فى فضل هذه الشهادة أحاديث كثيرة، فلا بأس بالتعرض لبعضها، منها: "حديث الترمذى والنسائى وابن ماجة وابن حبان: "أفضل الذكر لا إله إلّا الله"، وحديث البخارى: "أفضل العمل لا إله إلّا الله ، وأفضل الدعاء اسغفر الله"، وحديث أبى يعلى وابن عدى: "أكثروا من شادة لا إله إلّا الله قبل أن يحال بينكم وبينها، ولقنوها موتاكم"، وحديث البخارى: "إن الله قد حرم النار على من قال لا إله إلّا الله يبتغى بذلك وجه الله"، وحديث أحمد والحاكم: "جددوا إيمانكم وأكثروا من قول لا إله إلّا الله"، وحديث ابن عساكر: "حدثنى جبريل: يقول الله تعالى: لا إله إلّا الله حصنى، من دخل حصنى أمن عذابى"

ثم قال الناظم:

**عليها نموت بإذن اللهْ  وتَنْطقُ بالمحبَّة شفاهْ**

الضمير فى (عليها) يرجع إلى شهادة الإسلام، والتى يرجو الناظم أن تختم حياته بها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) دخل الجنة" – أخرجه أبو داود فى كتاب الجنائز، باب التلقين، ص 486، الحديث رقم 3116. فالأعمال بخواتيمها، وهذا ما يجعل أهل الله العارفين يلهجون بذكر الآية: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ – آل عمران: 8. إن التوفيق للثبات على الإيمان والهداية رحمة لدنية، وهبة من المولى الكريم الوهاب، فلم يبق إلا حسن الظن بالله تعالى، وحسن الظن بالله تعالى مؤداه أن يحب العبد لقاء ربه، عن السيدة عائشة – رضى الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه"، فقلت: يا نبى الله ! أكراهية الموت ؟ فكلنا نكره الموت، فقال: "ليس كذلك. ولكن المؤمن إذا بُشِّرَ برحمة الله ورضوانه وجنته، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه" – أخرجه الإمام مسلم، صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، 5 باب من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه، ج 17، ص 10، الحديث رقم 17 (2685). ولهذا يرجو الناظم أن يختار الرفيق الأعلى بأن تنطق شفتاه بمحبة لقاء ربه تعالى وهو فى الرمق الأخير من حياته.

قال الناظم:

**أول بادى  فى التَّرْنيمْ  كما ذهب الإمام مالكْ**
**بالمولى  اللطيف وكريمْ  مِنْ الغيهوب والحالكْ**

أى تبدأ القصيدة أو الترنيمة بـ **(كما ذهب)** وفقاً لمذهب الإمام مالك بن أنس الفقهى. وهو المذهب المعمول به فى بلاد السودان، وغالبية دول المغرب العربى. وبالرغم من أن مسائل التوحيد قد رتب كتبها ودون مسائلها الأشاعرة والماتريدية؛ وبالرغم من أن هذه المسائل لا تختلف فيها المذاهب الأربعة للأئمة: (أبى حنيفة – مالك – الشافعى – ابن حنبل) إلا أن الناظم يذكر الإمام "مالك"، دون غيره من أئمة الفقه على سبيل التوثيق للاقتداء والتقليد الفقهى، لأن باب: "ما تنطق به الألسن وتعتقده الأفئدة" من علم التوحيد وصفات الله تعالى هو أول باب من أبواب الكتب التى صنفها علماء المالكية فى فقه الإمام مالك رضى الله عنه؛ كما قيل "أن الإمام مالك رضى الله عنه قد ألف رسالة فى هذا العلم قبل أن يولد الإمام الشافعى رضى الله عنه، وإنما نسب للإمام الأشعرى رضى الله عنه لأنه بين مناهج الأولين ولخص موارد البراهين" – قاله ابن حجر الهيتمى فى الفتاوى الحديثية، ص 208.

تبدأ الافتتاحية باسم الله، وذلك امتثالاً لقول النبى صلى الله عليه وسلم: "كل كلام أو أمر ذى بال لا يفتتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر" – أو قال – "أقطع" – أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ج 2، مسند أبى هريرة، ص 477، حديث رقم 359 (8733)

واختار الناظم من أسماء الله تعالى (اللطيف والكريم). فاللطيف هو العليم بخفيات الأمور وغوامض مشكلاتها وهو الذى يصرف عن الإنسان دقائق المصائب بخفى لطفه؛ والكريم هو مجزل العطاء الذى يعطى كثير الرزق ويرضى بقليل الأعمال من عباده. والغيهوب من الغياهب أى الظلمات وهى صيغة مبالغة مثل الملكوت والجبروت. والحالك هو المظلم الشديد السواد والظلام، وقد جاءت الاستعاذة فى القرءان الكريم: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ – الفلق: 3. والغاسق هو الليل الشديد الظلام، ووقب تعنى دخل بظلامه. فالناظم يسأل الله تعالى أن يتولاه بخفى لطفه وجزيل كرمه ويحفظه من ظلمات الشرك وضلالات

المفاهيم المغلوطة عن التوحيد، أى يحفظه من ظلام الليل وظلام الشرك، أى من صريح الشرك وخفيه.

قال الناظم:

**أثنى القول صلاة وتسليمْ  بِعَدِ مَنْ نالوا أفضالكْ**

**على النبى الرؤوف ورحيم  وهازم للعدو الهالك**

أى أذكر ثانياً فى قصيدتى الصلاة والتسليم على حبيبنا ونبينا وقدوتنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه وسيلة معرفتنا بالله تعالى وشفيعنا يوم نلقى الله فى الدار الآخرة. والمقدار الكمى لهذه الصلاة هو عدد الذين نالوا فضل الصلاة على هذا النبى صلى الله عليه وسلم الموصوف بالرأفة والرحمة فى قوله تعالى: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ - التوبة: 128. ومن صفاته صلى الله عليه وسلم أنه هازم لعدوه الكافر الذى أهلكته معاصى الكفر. قال الله عز وجل: ﴿يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ - التوبة: 73.

وفى عبارة (**نالوا**) التفات من الغيبة ومخاطبة الحاضر، أى خطاب إلى (الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم) بجعلها مخاطباً لتقريب صلة الناظم بينه وبينها.

قال الناظم:

**صايم ديمه شيخنا فهيمْ  مُبَدِّد حيرةَ السالكْ**

**زاد فهمنا والتعليم  وليت القلب يلقى مناه**

صايم ديمه هو شيخنا ومربينا إمام الموحدين من الأولياء فى عصره وسيد العارفين الأتقياء وياقوتة بحر المحققين من العلماء الشيخ دفع الله الصائم ديمه، وقد قصده الناظم متتلمذاً عليه لما أنسه فى الشيخ من فهم للتوحيد وعمل به وإرشاد الغير إليه. فهذا – كما ذكرنا فى المقدمة – هو سند الإرشاد الذى تتلمذ عليه الناظم، وهذا ذكرٌ لاتصال السند

الذى تصح به الرواية عند علماء الحديث، وهو سند المصاحبة للشيخ دفع الله الصائم ديمه لا سند المعاصرة فقط؛ والمصاحبة والمعية لأهل التوحيد والمحبة والصدق قد حضت عليها الآيات القرءانية والسنة النبوية الشريفة، ومن حسن الظن بالله تعالى حسن الظن بأن له عز وجل عباداً صالحين هم أهل التوحيد والمحبة والصدق والإخلاص والتقوى والعلم، وهم الذين أمر الله بصحبتهم ومجالستهم فى قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ - التوبة: 119. وفيما يفيد معنى هذه الصحبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى جحيفة: "جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء، وخالطوا الحكماء" – أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 2 كتاب العلم، 8 باب فى فضل العلماء ومجالستهم، ج 1، ص 167، الحديث رقم 519. فكيف نكون معهم أو نجالسهم إن لم نعرفهم، وقد جاءت صفتهم لمن أراد التعرف عليهم فى الحديث الشريف: "الذين إذا رؤوا ذكر الله" – أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له، ج2، ص 1379، الحديث رقم 4119. بل إن الرفقة لازمة فى الدارين بقوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ - النساء: 69. فأين رفقة الشهداء إن لم تكن فى الدار الآخرة ؟ فلا يكونون شهداء إلّا بعد انتقالهم للدار الآخرة.

فمن فيض علم الشيخ دفع الله الصائم ديمه وإرشاده تنال معارف السلوك إلى ملك الملوك، ويخلع على السالك الإمداد والعلم والفهم، ويجد القلب تحقيق أمانيه الخيرة فى شهود التوحيد فى هذه الدار، وفى مشاهدة ذات المولى الكريم فى الدار الآخرة: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلّا من أتى الله بقلب سليم﴾ - الشعراء: 88، 89.

وقول الناظم (شيخنا) بضمير الجماعة إشارة إلى كثرة أتباع ومريدى وتلاميذ الشيخ دفع الله الصائم ديمه، فهو له من الأتباع وأعمال الخير بعدد المصلين فى المساجد وخلاوى تحفيظ القرءان الكريم وزوايا الإرشاد وتكايا النفقة التى بناها فى ربوع السودان، تلك المؤسسات الدينية التى أربت على 400 منشأة.

ثم شرع الناظم فى ذكر صفات المولى عز وجل فقال:

**صفات مولانا بالعشرينْ  صفاتُ المُفرَدِ الواحدْ**

إن صفات المولى عز وجل الواجب معرفتها هى عشرون صفة، وعليها مدار التوحيد. حرف الباء فى (**بالعشرين**) إشارة إلى باء ( بها ) فى قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ - الأعراف: 180؛ أى صفوه بها، (قيل أن هذه الأسماء عبارة عن كونه تعالى على أوصاف شتى منها ما يستحقه لنفسه، ومنها ما يستحقه لصفة تتعلق به، وأسماؤه العائدة إلى نفسه هى هو، وما تعلق بصفة له فهى أسماء له، ومنها صفات لذاته، ومنها صفات أفعال. وفى معنى قوله تعالى: (لله الأسماء الحسنى) قال آخرون منهم: (ولله الصفات الحسنى) – قاله القرطبى فى تفسيره الجامع لأحكام القرءان، ج 7، ص 286. "فمن أسمائه تعالى ما يشمل الأوصاف، أى المشتقات الدالة على ذات متصفة بمعنى، فاسمه (العالم) معناه أنه على صفة تنكشف بها المعلومات الموجودات والمعدومات" – قاله العدوى فى حاشيته على شرح أبى الحسن المسمى كفاية الطالب الربانى لرسالة ابن أبى زيد القيروانى، ص 54. فالقصد بالأسماء هنا ما قابل الصفات الذاتية كالقادر والعالم والسميع، فالقادر من أسمائه تعالى. أما كلمة (المفرد) فتشير إلى أن الذات المتصفة بهذه الصفات هى ذات واحدة متصفة بصفات عديدة. بل كل صفة من صفات المعانى لها مطلب فى الوحدانية، كما سنرى.

واعلم بأن صفات مولانا عز وجل لا يقال فيها مفتقرة إلى الذات بل هى قائمة بالذات، بل كل صفاته تعالى زائدة على ذاته تعالى خلافاً لقول المعتزلة الذين أنكروا زيادتها

على الذات فقالوا هى وذاته تعالى شئ واحد، فمثلاً يقولون أنه عز وجل يقدر بذاته وليس بقدرة زائدة على ذاته وذلك فراراً من تعدد القدماء. ولكن أهل السنة يقولون أن الذات قديمه وصفاته قديمه وزائدة عليه عز وجل، أى يقولون الذات واحدة والصفات متعددة ولا يضر إلا تعدد الذات القديمة. فصفاته عز وجل لا هى ذاته ولا هى مغايرة لذاته تعالى، فإنها لو كانت الصفات عين الذات لزم أنها ذاتاً وأن العلم مثلاً قدرة وإرادة الخ وكذلك القدرة الخ وهو باطل فتعين أنها غير الذات – ذكره صاحب حاشية العقباوى على شرحه لعقيدة الدردير فى التوحيد. أى هى ليست عين الذات، كما أنها ليست مغايرة للذات. ولو كانت الصفات مغايرة للذات لزم تعدد القدماء. (قرر الأشاعرة – خلافاً للمعتزلة – قدم صفات الذات وحجتهم فى ذلك: أنها لو كانت محدثة، لأحدثها الله تعالى فى ذاته، وهذا محال لأن الله تعالى ليس محلاً للحوادث. ومن المحال أيضاً أن يحدث الله تعالى صفاته فى غير ذاته. ويبقى احتمال أخير: أن تكون الصفات محدثة قائمة بذاتها وهذا محال لأن الصفة لا يمكن أن تقوم بذاتها بدون موصوف. ولهذا قال الأشاعرة أن صفات الله قديمة وهى غير منفصلة عن بعضها البعض وغير متباينة لبعضها البعض، ولا هى مغايرة لذات الله تعالى) – انظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية، لعصام الدين محمد على، ص 122.

ذكر الناظم أول صفة لله تعالى بقوله:

**وجودٌ قبل كل تكوينْ  صفة نفسية للشاهدْ**

وجود الشئ هو ثبوته وتحققه. إن صفة الوجود هى صفة نفسية للمولى عز وجل، وسميت نفسية لأن الوصف بها دل على نفس الذات دون معنى زائد عليها، فهى صفة ثبوتية لا توصف بالوجود ولا بالعدم؛ فالوجود هو ذات الموجود على طريقة الأشعرى. فهو عز وجل واجب الوجود وكل ما عداه لا يوجد بنفسه وإنما لا بد له من موجد يوجده. فإنه لكل

حادث محدث. فقولنا أن مولانا عز وجل واجب الوجود يعنى أن وجوده من ذاته، وذاته اقتضت وجوده بمعنى أن غير الله لم يؤثر فى وجود الله، وليس الله مؤثراً فى ذاته أى موجدها وإلا كانت ذاته حادثاً فلزم التسلسل والدور.

كما أنه تعالى ليس له وجود مفتتح فيكون له أول، ولا وجود منقض فيكون له آخر؛ فمحال فى وصفه الأولية والأخروية اللتان بمعنى البداية والنهاية أما قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر﴾ – الحديد: 3. فمعناه أنه الأول من حيث أن لا بداية لأوليته، وأنه الآخر من حيث أن لا نهاية لآخريته.

**أقسام الوجود من حيث المحل والمُخَصِّص:**

والوجود من حيث المحل و المخصِّص – لا من حيث القدم والحدوث – على أربعة أقسام:–

**أ)** قسم غنى عن المحل والمخصِّص: وهو ذات مولانا عز وجل. والمحل هو الذات التى تحل فيها الصفة فى الموصوف؛ أما المخصص فهو الفاعل الذى يُوجِد الشئ.

**ب)** قسم موجود قائم بالمحل وغنى عن المخصص: هو صفات مولانا عز وجل، فمحلها هو الذات العلية.

**ج)** قسم يحتاج إلى المحل و المخصص: هو صفات الحوادث وتسمى أعراضاً لأنها مفتقرة إلى القيام بالجرم.

**د)** قسم يحتاج إلى المخصص دون المحل: هو ذات الحوادث وتسمى أجراماً، فالجرم يحتاج إلى ذات يقوم بها، وهذه الذات تُخَصَّص – أى يوجدها – مخصِّص – أى فاعل.

وعبارة (**قبل كل تكوين**) تفيد أن وجوده تعالى قديم بخلاف وجود الحوادث المتكونة، أى المحدثة فيما بعد، فحيث لا تكوين فلا قَبْلٌ لأوليته.

أما قول الناظم **(للشاهد)** فيعنى أن من أسمائه تعالى: الشهيد، كما فى قوله تعالى: ﴿وهو على كل شئ شهيد﴾ - سبأ: 47، وقوله تعالى: ﴿والله شهيد على ما تعملون﴾ - آل عمران: 98. فالشاهد الذى تعتمد شهادته بلا تردد لابد أن يكون موجوداً قبل حدوث الحدث وأثناء الحدث وبعد انتهاء الحدث، وذلك حتى يتسنى له الإلمام بجميع ما حدث بدءاً بالمقدمات ومروراً بالحدث نفسه ثم انتهاءً بنتائج الحدث. فالمولى عز وجل هو وحده كامل الشهادة بدليل وجوده أزلاً وحالياً وأبداً.

**أدلة وجوده تعالى:**

1- من القرءان الكريم قوله تعالى: ﴿الله خالق كل شئ﴾ - الزمر: 62.

2- ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله خالق كل صانع وصنعته" – أخرجه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين، ج 1، ص 46، الحديث رقم 85.

3- والدليل العقلى على وجوده تعالى هو حدوث العالم، لأنه لو لم يكن له محدث بل حدث من نفسه لزم أن يكون أحد الأمرين متساويين، والمراد بالأمرين الوجود فى مقابلة العدم والزمان المخصوص مع مقابله من الأزمنة، وهكذا لبقية المتقابلات فترجح أحدهما بلا مرجح لأنه جمع بين النقيضين فبان أن للعالم فاعلاً مرجحاً لحدوثه دون عدمه، ودليل حدوث العالم ملازمته للأعراض، أى الصفات الحادثة من حركة وسكون. وملازم الحادث حادث. ودليل حدوث الأعراض تغيرها من العدم إلى الوجود ومن الوجود إلى العدم. فلكل حادث مُحْدِث – أى خالق، فالشئ لا يمكن أن يوجد بدون علة، ولا يمكن من جانب آخر أن يكون علة صياغة نفسه، وهذا المنطق تعلمه المسلمون من قوله تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون﴾ - الطور: 35. ولو لم يكن المحْدِث موجوداً لما حدث العالم وهذا المحْدِث – الخالق – هو الله تعالى. (فوجود الحادث من وجود محدثه، فإن الشئ لا يوجد إلّا إذا امتنع عليه جميع أنحاء العدم، ومن جملة أنحاء العدم عدمه بعدم جميع أسبابه، وهذا لا

يمتنع إلّا إذا كان يوجد فى جملة أسبابه واجب الذات عز وجل) – قاله محمد باقر الصدر فى كتابه "فلسفتنا"، ص 284. وكل هذا الإغراق الفلسفى صاغه أهل اللغة فى عبارتهم المشهورة: "لكل فعل فاعل"، فالفعل عندهم مشاهد بآثاره، فكأنما قالوا: "لكل أثر مؤثر".

ثم قال الناظم:

**ووحدانية للذاكرين  كما قد هلَّل الزاهد**

إن الله واحد لا شريك له. ووحدانيته تعالى تعنى ما يلى: وحدة الذات ووحدة الصفات ووحدة الأفعال.

**أ) وحدة الذات:** وهى تعنى:

1- نفى الكم المتصل: وهو إلّا تكون ذاته العلية مركبة من جواهر وأعراض أو من جزأين أو أكثر. ونفى الكم المتصل فى الذات دليله أن أوصاف الإله إما أن تقوم بكل فرد من هذه الأجزاء، أو بالمجموع أو بالبعض وكل تلك الأقسام مستلزمة العجز. فأما الأول لأن كل جزء يكون إلهاً فيجرى فيه ما يحدث فى تعدد الإلهين، وأما الثانى فيلزم منه عجز كُلٍّ على انفراده بوجوب عجز المجموع للمماثلة بين كل جزء، وأما الثالث فلأنه لا أولوية لبعض على بعض، وهذا يلزم عجز جميعها.

2- نفى الكم المنفصل فى الذات: وهو إلّا يكون ذاتين بحيث يكون كل واحدة منهما منفردة عن الأخرى، أى أن لا يكون معه ذات أخرى لها من الكمال ما يجب لله تعالى. أى هو عدم النظير فى ذاته.

**ب) وحدة الصفات:** فليس هنالك ذات تتصف بصفات مولانا عز وجل، وهذه أيضاً فيها:

1- نفى الكم المتصل بالصفات: أى أن لا يكون له قدرتان وإرادتان.

2- نفى الكم المنفصل: فى الصفات وهو أن لا يكون لأحد من المخلوقين صفات كصفاته تعالى، وليس معه إله آخر يتصف بصفاته عز وجل. أى عدم النظير فى صفاته.

**ج) وحدة الأفعال:** وفيها:

1- نفى الكم المتصل بالأفعال: بمعنى أنه تعالى لا يفعل غير أفعاله. ومنهم من حصرها فى الكم المنفصل فقط. وقالوا إن الكم المتصل فيها لا يُنفَى، لأنه ثابت، لأن أفعاله كثيرة على حسب شؤونه فى خلقه. ويمكن أن نرد عليه بأن هذا التعدد لمتعلقات فعله عز وجل وليس تعدداً لفعله، ففعله واحد ولكن تتغير آثار فعله فى خلقه بحسب رؤية الخَلْقِ لها فيهم. وقد قال الماتريدية إن صفات الأفعال قديمة ترجع لصفة واحدة وهى التكوين، فالكمَّان معاً – المتصل فى الأفعال والمنفصل فيها – منفيان. - قاله فى شرح الصاوى على جوهرة التوحيد، ص 158.

2- نفى الكم المنفصل فى الأفعال: فلا أحد غيره يفعل كفعله، فالكل من أفعاله تعالى؛ قال عز وجل: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ - الصافات: 96.

ففى تفسير قوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ - المائدة: 73. قال الشيخ محى الدين بن العربى: "إن سبب كفرهم أنهم جعلوا المولى عز وجل بعضاً من ثلاثة ولم يكفر من قال: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم﴾ - المجادلة: 7 "، وقول الشيخ محى الدين بن العربى محمول على قاعدة (فاعل) للعدد مع ما اشتقت منه، فجعله بعضاً من متعدد، بخلاف قوله: (رابعهم) فإن فيه الجعل والتأثير كما هو قاعدة (فاعل) مع من هو دونه، إذ أن عبارة (رابع الثلاثة) تعنى (جاعل الثلاثة أربعة). (وقيل إن المصاحبة المستفادة من قوله تعالى: "إلّا هو رابعهم" وما بعدها هو مصاحبة علم، لا مصاحبة ذات) - أنظر حاشية العدوى على شرح أبى الحسن المسمى كفاية الطالب الربانى لرسالة ابن أبى زيد القيروانى، ص 58. فالله عز وجل واحد ظهرت وحدته فى جميع المظاهر – لا ظهور حلول فيها ولكن ظهور

إيجاد لها وتأثير عليها، فهو عز وجل وحده الخالق، ووحده المهيمن على خلقه، وهذا هو معنى شهود الوحدة فى الكثرة الذى يعنيه الصوفية؛ أى أن تشهد الله الواحد فى كل مظاهر الكون المتعددة؛ فالكون من مظاهر أسمائه تعالى وتجليات صفاته عز وجل؛ فمن كان رحيماً فبرحمة من الله كان كذلك؛ قال تعال : ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ – آل عمران: 159.

وكلمة التوحيد تشمل كل أذكار الذاكرين لأن الدين برمته يقوم عليها، فهى الكلمة التى تتضمن كل كلام الدين فهى الجزء الذى يحوى الكل، قال تعالى: ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ – الفتح: 26. وبالمثل يقابلها الشرك الذى ملخصه فى كلمة، كما فى قوله تعالى: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ – التوبة: 74.

أما الزاهد فهو الذى لا يروم سوى مولاه – لأن كمال الزهد أن تزهد فيما سوى الله عز وجل بأن تفرده سبحانه وتعالى بالطاعة والحب، فرأس الدين أن تشهده عز وجل ببصيرتك حتى لا يكون لك رغبة فى سواه. وعليه يكون الزاهد هو خير من تشبع بذكر كلمة التهليل وهذا دليل إجماع الذاكرين، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "سبق المفردون"، قيل ومن المفردون يا رسول الله ؟ قال: "الذاكرون الله كثيراً والذاكرات" – انظر الكلاباذى فى التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 30. فلن يعرف أحد الله إلا بذكر الله تعالى، ولن يدخل إنسان حضرة الواحد الأحد إلا بالخروج من ران الدنيا وتطهير القلب من أمراضه المعنوية كالحسد و الحقد والكبر والعجب وغيرها. قال تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلّا الصابرون﴾ – القصص: 80. قيل أن الذين أوتوا العلم هم الزهاد فى الدنيا الصابرون عنها، ويؤيد هذا التفسير الحديث الشريف: "من جاء بلا إله إلّا الله لا يخلط بها غيرها وجبت له الجنة"، فقام عليّ – كرم الله وجهه – فقال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، ما لا يخلط بها غيرها ؟ صفه لنا، فسره لنا. فقال صلى الله عليه وسلم: "حب الدنيا طلباً لها واتباعاً لها، وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة، فمن جاء بلا إله إلّا الله ليس فيها شئ من هذا وجبت له الجنة" – ذكره الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين، كتاب

الفقر والزهد، ج 13، ص 115، وقال الزين العراقى رواه الترمذى الحكيم فى النوادر. فانظر كيف جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الزهد شرطاً للتوحيد. والتوحيد شرط وجوده العلم، قال الله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلّا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم﴾ - آل عمران: 18؛ أما العلم فشرطه التقوى، قال الله عز وجل: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ - البقرة: 282؛ ولن تكون تقوى إلّا بالزهد فى الدنيا وحب الآخرة . فلما سئل رسول صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح فى قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ - الأنعام: 125، وقيل له ما هذا الشرح ؟ قال: "إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح"، قيل: يا رسول الله، وهل لذلك علامة ؟ قال: "نعم . التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإستعداد للموت قبل نزوله" – ذكره الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين، كتاب الفقر والزهد، ج13، ص 115؛ وقال الزين العراقى أخرجه الحاكم. وعلق الإمام الغزالى بقوله: (فانظر كيف جعل الزهد شرطاً للإسلام، وهو التجافى عن دار الغرور).

**أدلة الوحدانية:**

1- الدليل القرءانى على وحدانية الله تعالى قوله عز وجل: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلّا هو﴾ - البقرة: 163.

2- الدليل السنى هو قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله وتر يحب الوتر" – أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه باب وجوب الوتر، ج 3، ص 4، الحديث رقم 4571. والوتر تعنى الواحد.

3- والدليل العقلى فلأنه لو لم يكن واحداً لزم أن لا يوجد شئ من العالم للزوم عجزه حينئذٍ، وبيان ذلك لو كان معه مماثل فى الألوهية للزم عجزهما سواء اتفقا أم اختلفا أو اقتسما، وفى كل من اتفاقهما أو اختلافهما إما أن يكون اضطراريا أو اختيارياً، فإن كان اضطراريا لزم قهرهما فينتفى العالم ونفى العالم محال، وإن كان اختياريا فنعرض لهما جوهراً فرداً

فإن أوجداه معاً لزم انقسام ما لا ينقسم وهو محال لأن الجوهر الفرد لا يقبل الإنقسام، وإن أوجد أحدهما عين ما أوجده الآخر لزم تحصيل الحاصل وهو محال، وإن أوجده أحدهما عجز الآخر فعجز أحدهما دليل على عجز الآخر لأنه قدر أنه إله مثله وما سرى على المثل يسرى على المماثل. ففى فرض اختلافهما يسمى برهان التمانع والتطارد، وفى فرض اتفاقهما يسمى برهان التوارد.

ثم قال الناظم:

**قدم وبقا بغير سنين  بلا مولود ولا والد**

حقيقة القدم عبارة عن انتفاء العدم السابق للوجود، أى أن وجود الله تعالى لم يسبقه العدم. إن الله عز وجل قديم ليس لسبقيته الأشياء ولا لقدمه ابتداء، كما أنه تعالى باقٍ ليس لبقائه انقضاء، فعبارة **(بغير سنين)** تنفى ارتباط قدمه وبقائه عز وجل بالزمن، فالزمن يقاس بحركة الكواكب والنجوم التى خلقها الله عز وجل، فكان الله تعالى ولم تكن كواكب أو نجوم، ويبقى الله تعالى وتفنى الكواكب والنجوم، فبالقدم انتفى العدم السابق وبالبقاء انتفى العدم اللاحق. وأما أسبقية الأب على الابن فإن لها ابتداء، وبقاء ابنه بعده له انقضاء، فإن الله تعالى لا هو مولود من أب سابق له، ولا هو والد لابن لاحق به ويكون سبباً لإنقضاء أبيه. قال الله تعالى فى صفة توحيده عز وجل: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ - الإخلاص: 3.

**أدلة القدم:**

- دليل القدم من القرءان الكريم قوله تعالى: ﴿هو الأول﴾ - الحديد: 3.

2- ودليل القدم من السنة النبوية قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أنت الأول فليس قبلك شئ" – أخرجه الترمذى فى صحيحه، أبواب الدعوات، ج 5، ص 138، الحديث رقم 3460.

3- والدليل العقلى لأنه لو لم يكن قديما لكان حادثاً يفتقر إلى محدث فلزم الدور أو التسلسل.

**أدلة البقاء:**

1- دليل البقاء من القران الكريم قوله عز وجل: ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ - الرحمن: 26، 27.

2- الدليل من السنة حديث: "وأنت الآخر فليس بعدك شئ" - أخرجه الترمذى فى صحيحه، أبواب الدعوات، ج 5، ص 138، الحديث رقم 3460.

3- الدليل العقلى لأنه لو أمكن أن يلحقه العدم لانتفى عنه القدم لكون وجوده حينئذٍ يعد جائزاً لا واجباً، والجائز يكون وجوده حادثاً، فخرّج العلماء قولهم: "ما ثبت قدمه استحال عدمه".

واستطرد الناظم قائلاً:

**مخالف خلقه الحادثين  وقـايم بالنفس ماجد**

إن المولى سبحانه و تعالى مخالف لكل الحادثات التى هى خلقه. فالمخالفة للحوادث هى نفى المشابهة للحوادث فى الذات والصفات و الأفعال. وأكثر ما يكون الإلحاد فى صفاته وأسمائه تعالى إنما هو الخلط بين أسماء وصفات كل من الخالق والمخلوق، فينبغى التفريق بين الاشتراك فى الاسم والاشتراك فى المعنى، والممنوع هو الثانى دون الأول، بشرط كونه وارداً فى الشرع، لأن العلم مثلاً مما ورد وصف الخالق به، قال تعالى: ﴿إن الله واسع عليم﴾ – البقرة: 115، كما وصف به المخلوق، قال تعالى: ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ – الذاريات: 28، "مع أنه ليس بمشترك بينهما فى المعنى، لأن علم الله حضورى، وعلم المخلوق حصولى، وكذلك بقية الصفات" – قاله عبد الحليم محمود فى التفكير الفلسفى فى الإسلام، ص

153. ولكن القرءان الكريم قد تنزل لأفهام الناس بحسب ما فيهم من صفات إذا قيس عليها عرفت بعض من معانى الصفات الإلهية، قال تعالى: ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فى ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ – الروم: 28. وقال تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون * وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون * للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾ – النحل: 57 – 60. فهنا قد استعمل القرءان الكريم قياس الأَوْلَى تنزلاً لإفهام الناس. فما ثبت لغير الله تعالى من كمال لا نقص فيه فثبوته لله بطريق الأولى، وما تنزه عنه غيره من النقائص فتنزه الله تعالى عنه بطريق الأولى. وهذا القياس لأهل العادة من التفكير. ولكن فى واقع الأمر – وعند أهل الحقيقة والعرفان – لا يقاس الخالق بالمخلوق. فبعض مما ثبت فى حقنا أنه كمال – كالأهل والولد – فهو نقص فى حقه تعالى، وما ثبت أنه عيب ونقص فى المخلوق – كالتجبر والقهر والتعالى – فهو فى حقه تعالى كمال، فهو الواحد المتعال ذو القوة والجبروت.

فقيامه تعالى بنفسه يعنى أنه ذات وليس عرض (أى ليس صفة)، وحقيقة القيام بالنفس عبارة عن انتفاء الاحتياج إلى المحل والمخصص، فلا يفتقر إلى المحل أى الذات التى يحل فيها كما تحل الصفة فى الموصوف كما هو اعتقاد النصارى و الباطنية، فمن اعتقد أن الله يحل فى شئ فهو كافر بالإجماع – قاله فى شرح أم البراهين، ص 13. لأنه تعالى إن كان فى محل لكان صفة، (لأن العرض أى المعانى والصفات تحتاج إلى ذات تقوم بها كالكرم مثلاً يحتاج إلى كريم) – قاله صاحب شرح جوهرة التوحيد، ص 168. فالذات لا تحتاج إلى ذات تقوم بها لأنها إن قبلت أن تقوم بذات لزم أن الذات الأخرى تقوم بذات فيلزم التسلسل. فهو تعالى غنى عن جميع ما سواه.

أما كلمة (**ماجد**) ومجيد من المجد. والماجد فى حق البشر هو ذو الشرف والسؤدد، أى هو الذى يفتخر بقديم الآثار من الآباء والأجداد؛ أما فى حق الله تعالى فالماجد تعنى المفتخر بذاته القديمة التى لا تحتاج لمعين من الحسب والنسب، وذلكم هو المجد الحق، لأن مجد البشر يعتمد على الحسب والنسب اللذين هما سند وعون للإنسان، أما مجد المولى عز وجل ففى استغنائه بنفسه عما سواه.

**أدلة المخالفة للحوادث:**

والدليل على مخالفته تعالى للحوادث من القرءان الكريم قوله تعالى: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ - الإخلاص: 4؛ وقال تعالى: ﴿ليس كمثله شئ﴾ - الشورى: 11. قيل أن أول الآية بالنفى وفى ذلك رد على المجسمة، وآخرها فيه الإثبات الذى هو رد على المعطلة أمثال المعتزلة النافين لزيادة الصفات، وذلك بقولهم أن الله تعالى يسمع بذاته ويرى بذاته وليس بصفة زائدة على ذاته كما بينا ذلك فى أول حديثنا عن الصفات.

2- ودليل مخالفته تعالى للحوداث من السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث و لا يخشى الدوائر" – أخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط، ج 9، ص 284، الحديث رقم 9448.

3- ودليل العقل أنه لو ماثل شيئاً من الحوادث لكان منها وذلك محال نسبةً لِمَا عرفت من وجوب قدمه تعالى وبقائه.

**أدلة قيامه تعالى بنفسه:**

1- الدليل على قيامه تعالى بنفسه من القرءان الكريم قوله عز وجل: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد﴾ - فاطر: 15؛ وقوله تعالى: ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم﴾ – طه: 111.

2- ومن السنة عَدَّه صلى الله عليه وسلم (الغنى) من أسماء الله الحسنى – أخرجه الترمذى فى أبواب الدعوات، ج 5، ص 192، الحديث رقم 3574.

3- ودليل العقل أنه لو احتاج إلى محل لكان صفة –كما ذكرنا سابقاً – لأن الصفة عرض يحل فى جسم، وكل جسم حادث لا محالة، ومُحْدِثُ الحادث موجود قبله، فكيف يكون حالاً فى الجسم وقد كان موجوداً قبله فى الأزل وما معه غيره – أفاده الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين، ج 1، كتاب قواعد العقائد، ص 185. والصفة لا تتصف بصفات المعانى ولا المعنوية، "لأن الصفة لو قبلت هذه الصفات لاستحال عروّ كل صفة عنها وذلك يستلزم التسلسل ودخول ما لا نهاية له فى الوجود لأنه يجب لصفة الصفة ما وجب للصفة الأولى" – ذكره صاحب صغرى الصغرى، ص 18، ومولانا عز وجل يجب اتصافه بهما (أى صفات المعانى والصفات المعنوية)، فهو فليس بصفة. ولو احتاج إلى مخصص لكان حادثاً، وعرفنا أنه قديم وباقٍ، فإذا بطل الحدوث بالضرورة بطل احتياجه إلى المخصص، فثبت أنه قائم بنفسه.

**مشكلات التوحيد ومتشابهاته:**

واثبات مخالفته تعالى للحوادث بها يتم نفى مشكلات التوحيد الأربع، وهى:

**1- موجود بلا مكان:** أى فالله تعالى لا يتصف بالمكان لأن المكان من صفات الحوادث، فلا يقال الله فوق العرش ولا تحته، وليس له مكان أصلاً، سبحان من هو موجود قبل المكان بلا مكان، وهو بعد أن أوجد المكان ليس فيه، منزه عن التحيز والحلول، مبرأ عن التغير والفتور.

**2- ورؤية بلا جهة:** أي فالله تعالى ليس له جهة، فالمعنى أن الرؤية لا يشترط فيها عقلاً عند أهل السنة اتصال شعاع ولا مقابلته ولا رؤيته ولا جهته، وإنما هذه أمور عادية يجوز تخلفها، وقد تتم الرؤية بدونها، فلزوم الجهة والحيز لكى نراه ممنوع، إذ الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه لا يشترط فيها مقابلة المرء ولا كونه في جهة وحيز وغير ذلك. والرؤية بهذه الكيفية

تكون يوم القيامة تكريماً من الله تعالى وتفضلاً على عباده المؤمنين، وقد كانت فى الدنيا معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم، فعن سيدنا أنس رضى الله عنه، أن النبى صلى الله عليه وسلم، قال: "أقيموا الصفوف فإنى أراكم خلف ظهرى" – أخرجه البخارى، كتاب الآذان، باب تسوية الصفوف، ص 133، الحديث رقم 718، وقال شارحه (محمد منير الدمشقى صاحب طباعته): "أى كما أرى من بين يدى".

**3- وكلام ليس بحرف ولا صوت:** لأن كلامه جل وعلا صفة أزلية قائمة بذاته ليس بحرف ولا صوت منزهة عن جميع صفات الحوادث. كما سوف نبين ذلك فى موقعه.

**4- وجود ليس فى جهة:** والجهات ستة، هى: فوق، تحت، يمين، شمال، أمام، خلف.

وحكوا عن الإمام الشافعى رضى الله عنه، أنه قال: "من انتهض لطلب مُدبِّره فانتهى إلى موجود ينتهى إليه فكره فهو مشبّه، وإن إطمأن الى العدم الصرف فهو معطّل، وإن إطمأن إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحِّد، وهو معنى قول الصديق رضى الله عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك" – ذكره صاحب كتاب (يواقيت فراديس الجنان العلية)، محمد على الإحيمر، ص 1.

وفسر الناظم **معنى الصفات السلبية** بقوله:

**وهذى قد سلبن الشين وشيئاً لا يليق بالله**

إن هذه الصفات (الوجود، الوحدانية، القدم، البقاء، المخالفة للحوادث، والقيام بالنفس) تسمى الصفات السلبية لأنها نفت عنه تعالى وسلبت أوصافاً لا تليق بالله تعالى، فالقدم – مثلاً – هو وصف سلبى معناه عدم الأولية من حيث لا ابتداء لأوليته، فالقدم سلب الأولية والبقاء سلب الآخرية، وقس على ذلك بقية صفات السلوب، وهى سلبية أى عدمية – أى لا موجودة كالمعانى التى هى موجودة خارج الأعيان بحيث يمكن رؤيتها، أو

رؤية آثارها – ولا ثبوتية – أى ثابتة فى الذهن – كالمعنوية، وليست معدومة – أى خارج الأذهان بحيث تكون معدومة عدماً صرفاً حتى يثبت ضدها المستحيل، فهى ثابتة له تعالى – أى ثبوتاً خارج الذهن – يوصف بها وجوبا و تفصيلاً. فهى صفات التخلية مما لا يليق بالله عز وجل.

ثم شرع الناظم فى ذكر **صفات المعانى** فقال:

**قدرة إرادة والثنتان تعلقا بالذى أمكن**

إن الله سبحانه وتعالى قد أحكم صنع العالم بقدرته؛ فهو عز وجل فعال بلا جارحة وخلاق بلا آلة. فالقدرة صفة أزلية يتأتى بها إيجاد كل ممكن أو إعدامه على وفق الإرادة، بينما الإرادة صفة أزلية يتأتى بها تخصيص الممكن – على وفق العلم – ببعض ما يجوز عليه من المتقابلات أى المتنافيات بمعنى أن كل واحدة تقابلها أخرى ضدها وتنافيها.

**المتقابلات:**

المتقابلات عبارة عما لا يجتمعان فى شئ واحد من جهة واحدة كتقابل الضدين فى السواد والبياض. أنظر: المبين فى شرح معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين، لسيف الدين الآمدى، ص 115.

والمتقابلات هى ستة تقابلها ستة وهى: الوجود المخصوص والعدم، والزمان المخصوص والأزمنة، والمكان المخصوص والأمكنة، والمقدار المخصوص و المقادير، والجهة المخصوصة والجهات، والصفة المخصوصة والصفات. فمثلا نعنى بالصفة المخصوصة الصفة التى خصص للشئ أن يوجد عليها. ونعنى بالصفات تنوع الصفة التى يمكن للشئ أن يوجد على خلافها؛ وبنفس المفهوم والمعنى يمكننا التحدث عن المقدار والمقادير، فمثلاً يكون هذا المقدار لطول شيءٍ ما هو من تخصيص الله تعالى بإرادته لذلك الشئ ويجوز عليه تعالى أن يوجد نفس

الشئ فى غير هذا المقدار من الطول. فالقدرة والإرادة لهما تعلق تأثير و إيجاد بجميع الممكنات. والتعلق هو طلب أمر زائد على قيامه بمحله، أى هو اقتضاء الصفة واستلزامها أمراً زائداً على قيامها بالذات؛ فالقدرة والإرادة مثلاً تتعلقان بالممكن أى تطلبان قيامهما بالممكن.

**أقسام الممكنات:**

والممكنات من حيث الوجود والعدم أربعة أقسام هى:

أ) ممكن وجد وانقضى كالحادثات التى خلقها الله تعالى وأفناها مثل وجود إنسان وموته.

ب) ممكن موجود فى الحال كالقارئ الذى يمسك الأن بهذا الكتاب.

ج) ممكن سيوجد فى المستقبل كمولود لم يولد بعد.

د) ممكن علم الله أنه لا يوجد كإيمان أبى لهب.

والتعلق بالثلاثة الأولى لا خلاف فيه ولكن الخلاف فى التعلق بالأخير لمن يرى أنه محال والقدرة و الإرادة لا تتعلقان بمحال.

فالقدرة لا تتعلق بالواجب، لأنها إن تعلقت بوجوده لزم تحصيل الحاصل، وإن تعلقت بعدمه لزم قلب الحقيقة. كما أنها لا تتعلق بالمستحيل، لأنها إن تعلقت بإيجاده لزم قلب الحقيقة، وإن تعلقت بعدمه لزم تحصيل الحاصل.

**تعلقات القدرة:**

1- **تعلق صلوحى قديم:** هو تعلقها بالمقدورات قبل أن توجد، والتعلق الصلوحى القديم يعنى صلوح (صلاحية) الأشياء فى الأزل لأن تكون على خلاف ما ستوجد عليه، أى

صلاحيتها فى الأزل، أى صالحة مثلاً لتخصص فلان هذا بطول كذا بدلاً عن طوله الذى كان عليه فى تعلق القدرة التنجيزية القديمة.

2- **تعلق تنجيزى حادث:** هو تعلقها بوجود المقدورات وقت وجودها أو عدمها بالفعل، أى هو التعلق الحادث المقارن لتعلق الإرادة بالحدوث الحالى. فلا تأثير لقدرتنا فى شئ، بل كل حركاتنا وقدرتنا مخلوقة لله تعالى، أى أن قدرتنا حادثة لا تأثير لها إلّا بمقارنة القدرة الإلهية، فمعنى الاكتساب أن يفعل الإنسان بقدرة حادثة، أى أن العبد مكتسب لعمله والله تعالى خالق لكسبه. فلما كان لقدرتنا مقارنة للفعل عند إيجاده تعالى لحركاتنا نسب إلينا ذلك الفعل وطلب منا فى ظاهر الحال وترتب عليه الثواب والعقاب، وهذا مذهب أهل السنة الذى يسمى بالكسب، وهو ميل العبد للفعل حالة الاختيار، وهذا الاختيار هو الأمانة التى عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها اختياراً، ولكن حملنها طاعة تلقائية: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ – فصلت: 11، وحملها الإنسان اختياراً وإكراهاً لنفسه عليها بجهاد نفسه وسوقها قهراً إلى الطاعة، فتلقى بسبب حمله لهذه الأمانة الثواب إن أداها كما ينبغى، والعقاب إن فرّط فيها وهذا الاختيار هو الذى خلق له الله سبحانه وتعالى التوفيق أو الخذلان فى داخل الإنسان، فالتوفيق هو خلق قدرة الطاعة والداعية إليها، أو الميل النفسانى وهذا ما يسمى بسلامة الأسباب فالمؤمن موفق بتوفيق الله له، قال تعالى: ﴿وما توفيقى إلّا بالله﴾ - هود: 88، وموفق بقوله عز وجل: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾ – الحجرات: 7. أما الكافر فمخذول إذ خلقت فيه قدرة المعصية وأسبابها، قال تعالى: ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ – الأنعام: 125. ولهذ فقد التزم المؤمن قول الله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ – النساء: 58، فَرَدَّ الأمانة إلى أهلها وحمد الله على

نعمة الهداية وأمانتها فقال: ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ – الأعراف: 43. فالمؤمن قد رد الهداية لربه ولم ينسبها لنفسه فقال: ﴿الذى خلقنى فهو يهدين﴾ – الشعراء: 78. وقال تعالى: ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمن عليم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ – الحجرات: 17. وأما المعتزلة فيثبتون وجود قدرة لنا وأن هذه القدرة مؤثرة فى الأفعال الاختيارية. وأما الجبرية فينفون وجود قدرتنا أصلاً.

أما الإرادة فلها ثلاثة تعلقات، هى كما يلى:

**تعلقات الإرادة:**

1- **تعلق تنجيزى قديم:** هو تخصيص الأشياء فى الأزل على الوجه الذى ستوجد عليه، أى التخصص فى الأزل، فمثلاً علم الله أن فلاناً يوجد بطول كذا فتخصصه الإرادة أزلاً بالذى علمه عز وجل عن فلان هذا فيستحيل تخلفه، (وهذا معنى قول الإمام الغزالى: "ليس فى الإمكان أبدع مما كان" أى أن تعلق القدرة التنجيزى لا يكون إلّا على طبق ما سبق به العلم وإلّا لأنقلب العلم جهلاً، فليس من الممكن إيجاد عالم غير هذا الموجود، وعلى هذا لا يمكن أن يريد الله خلاف ما علم، ولا أن يوجد خلاف ما أراد، فالذى أراده هو هذا العالم، لذلك لا يمكن أن يكون أبدع منه، لأنه لم يرد غيره. وأما قول الله تعالى: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون * على أن نبدل خيراً منهم﴾ – المعارج: 40، 41، فباعتبار الجواز العقلى بقطع النظر عن تعلق العلم) – قاله فى شرح الصاوى على جوهرة التوحيد، ص 199. قال أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمى: "إن إرادة الله سبحانه وتعالى لما تعلقت بإيجاد هذا العالم وأوجده وقضى ببقاء بعضه إلى غاية وببقاء بعضه الآخر لا إلى غاية وهو الجنة والنار وكان ذلك مانعاً من تعلق القدرة الإلهية بإعدام جميع هذا العالم، لأن

القدرة لا تتعلق إلّا بالممكن وإعدام ذلك غير ممكن لا لذاته بل لما تعلق به مما ذكرناه، ولما كان إعدامه محالاً لما قلناه كان إيجاده الأول على غاية الحكمة والإتقان وكان أبدع ما يمكن أن يوجد لأنه لا يوجد غيره لما تقرر" – قاله فى الفتاوى الحديثية، ص 54.

2- **تعلق صلوحى قديم:** هو صلاحيتها أزلاً لتخصيص الممكن بأحد الجهات المذكورة لا بعينه.

3- **تعلق تنجيزى حادث:** هو تعلقها بتخصيصه عند بروزه.

إن القدرة والإرادة مع العلم هم مجموع ما يسمى بالقدر، فبيده سبحانه وتعالى وبقدرته مقادير الأمور، أى مبادئها، فيجرى الشئ المخلوق على قدره وقضائه، أى بحسب علمه ووفق ما علمه أزلاً. وربنا عز وجل مريد لكل شئ أوجده ويوجده حتى المعاصى، لأن الإرادة غير الأمر عند أهل السنة؛ فالله يريد المعاصى ولا يأمر بها. ولكن المعتزلة خلطوا بين الإرادة والأمر وعدوهما شيئاً واحداً، فقالوا إن الله لا يريد المعاصى، فهى تقع بدون إرادته – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لأنهم زعموا أن الإرادة توافق الأمر، فكل ما أمر به الله تعالى يريده. وهذا بالطبع يتفق مع ما ذهبوا إليه من أن صفات الله تعالى هى عين ذاته، ولذلك فعندهم يكون أمره وإرادته وعلمه وسمعه كلها شيئاً واحداً هى عين ذاته.

وعلى قول المعتزلة أعلاه لو كان العلم نفس القدرة لكان ما كان معلوماً كان مقدوراً، وهو باطل، لأن الواجب والممتنع معلومان وغير مقدورين. الإلهيات فى الفكر الإسلامى، د. محمد أحمد عبدالقادر، ص 260.

وقد بيَّنا خطأ رأيهم هذا فى موقع سابق من هذا الكتاب. فعند الأشعرية تنفك الإرادة عن الأمر، فقد يريد ويأمر كإيمان أبى بكر رضى الله عنه، وقد لا يريد ولا يأمر ككفره، وقد يريد ولا يأمر ككفر أبى جهل، وقد يأمر ولا يريد كإيمانه.

إن الإرادة للتخصيص، والقدرة للإيجاد، والعلم للإيقان.

أما اقتران العلم بالقدرة نجده فى قوله تعالى: ﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ فى السماوات ولا فى الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾ - فاطر: 44.

فالعلم أكسب الإنسان القدرة على تطويع الطبيعة وتذليلها لخدمة البشرية، فحيث لا علم لا قدرة. وعلم الإنسان من تعليم الله له؛ قال تعالى: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ - العلق: 5. وقدرة المولى عز وجل محيطة وشاملة وعلمه تعالى محيط وشامل لكل مخلوقاته، قال تعالى: ﴿لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً﴾ - الطلاق: 12.

**أدلة القدرة:**

1- دليل القرءان الكريم على القدرة قوله تعالى: ﴿والله على كل شئ قدير﴾ - المائدة: 19.

2- ودليل السنة على القدرة هو عدّ النبى صلى الله عليه وسلم فى أسماء الله الحسنى (القادر) – أخرجه الترمذى، أبواب الدعوات، ج 5، ص 192، الحديث رقم 3574.

3- وبرهان العقل وجوب اتصافه عز وجل بالقدرة فلو انتفت قدرته لثبت عجزه وعدم تمكنه من إيجاد المخلوقات، ولِمَا وُجِدَت الحادثات.

**أدلة الإرادة:**

1- دليل القرءان الكريم على الإرادة قوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ - البروج: 16.

2- ودليل السنة قول النبى صلى الله عليه وسلم: "اللهم ما قلت من قول، أو حلفت من حلف، أو نذرت من نذر فمشيئتك بين يدى ذلك كله، ما شئت كان وما لم تشأ لا يكون" – أخرجه الحاكم فى مستدركه، ج 1، ص 445، الحديث رقم 1915.

3- وبرهان العقل وجوب اتصافه عز وجل بالإرادة فلو انتفت إرادته لما ترجح تخصيص كل ممكن بالجائز المخصص له بدلاً عن مقابله، ولما وجدت الحادثات.

قال الناظم:

**سمع وبصر بلا عينان  تعلقا بالتى وُجِدَنْ**

إن صفتي السمع والبصر من صفات الإله الحق، ولهذا قال تعالى معاتباً الكفار على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع و لا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾ - مريم: 42. فالمولى عز وجل يسمع بلا آذان ويبصر بلا حدقة ولا أجفان. والسمع والبصر لهما تعلق انكشاف بجميع الموجودات (**التى وُجِدَنْ**).

**أقسام الموجودات من حيث القدم والحدوث:**

والموجودات من حيث القدم والحدوث تنقسم إلى قسمين:

أ- موجود قديم: هو ذات الله عز وجل وصفاته تعالى.

ب- موجود حادث: كذواتنا وصفاتنا.

وسمعه وبصره جل جلاله هما صفتان تنكشف بهما الموجودات على وجه يعلمه.

**تعلقات السمع والبصر:**

فسمعه تعالى وبصره لهما ثلاثة تعلقات، هي:

1- **تعلق تنجيزى قديم:** وهو تعلقه بذاته وصفاته أزلاً، فهو عز وجل يسمع سمعه بسمعه ويبصر بصره ببصره ويعلم علمه بعلمه لأن صفات الانكشاف تتعلق بنفسها بخلاف القدرة والإرادة فإنهما يتعلقان بالممكنات فقط.

2- **تعلق صلوحى قديم:** هو تعلقه بذواتنا وصفاتنا أزلاً قبل وجودنا.

3- **تعلق تنجيزى حادث:** هو تعلقه بذواتنا وصفاتنا عند وجودنا.

جاءت كلمة (**عينان**) فى القصيدة بالألف قبل النون للمثنى، وكان الأصح نحوياً أن تكون (عينين) لوقوعها موقع الجر بالإضافة، إلّا أن الناظم أجراها على لغة كنانة وبنى الحارث بن كعب وزبيد وآخرين ممن يجعلون المثنى بالألف فى كل أحوال إعرابه – قاله ابن هشام فى شرح شذور الذهب، ص 46، واستدل بقول رؤبة بن العجاج:

إن أباها وأبا أباها  قد بلغا فى المجد غايتاها

وعليه تخرج قوله تعالى: ﴿إنَّ هذان لساحران﴾ - طه: 63، وهذه من القراءات السبع – ذكرها الشيخ أحمد بن محمد الصاوى فى حاشية الصاوى على تفسير الجلالين، ج 3، ص 70.

واعلم أن الله عز وجل يسمع بلا أصمخة ولا آذان ويرى بلا حدقة ولا أعين. أما قوله تعالى: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ - هود: 37، فقد أوّل العلماء عبارة (بأعيننا) أى بمرأى منا وحيث نراك، وقال الربيع بن أنس: بحفظنا إياك حفظ مَنْ يراك، وقال ابن عباس بحراستنا، والمعنى واحد – ذكره القرطبى فى تفسيره، ج 9، ص 28. إن ما ورد فى القرءان الكريم والسنة النبوية المطهرة من عبارات العين واليد والرجل فإنما هى من المتشابه الذى وقف فيه السلف موقف التفويض وترك المعنى لمراد الله تعالى، ووقف الخلف موقف التأويل وحمل المعنى على ما يليق به سبحانه وتعالى، قال العلامة ابن أبى شريف: "مذهب السلف أسلم فهو أولى بالإتباع كما قال بعض المحققين، ويكفيك أنه أولى بالإتباع ذهاب الأئمة الأربعة إليه. وأما

طريقة الخلف فهى أحكم بمعنى أكثر إحكاماً أى إتقاناً لما فيها من إزالة الشُبَه عن الأفهام، وبعض عبر بـ (أعلم) بدلاً عن (أحكم) بمعنى أن معها زيادة علم لبيان المعنى التفصيلى. – ذكره العدوى فى حاشيته على شرح أبى الحسن المسمى كفاية الطلب الربانى لرسالة ابن أبى زيد القيروانى ، ص 61.

**أدلة السمع والبصر:**

1- دليل القرءان الكريم على السمع والبصر قوله تعالى: ﴿وهو السميع البصير﴾ - الشورى: 11.

2- ودليل السنة قول النبى صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم ما تدعون أصمَّ و لاغائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً" – أخرجه الإمام أحمد فى مسنده، ص 1418، الحديث رقم 4 / 402، 19828(19599).

3- وبرهان العقل أنه تعالى لو لم يتصف بالسمع والبصر لاتصف بضدهما وهو نقص والنقص عليه محال.

وقال الناظم:

**كلام وعلم بلا أزمان  تعلقا بالجميع علماً**

إن كلام الله سبحانه وتعالى بلا صوت ولا جارحة ولا حرف. بل كلامه قديم صفة ذاتية لله تعالى، وكلامه يسمع من جميع الجهات وبكل جارحة من جوارح الحادثات. فمولانا عز وجل لا يتحيز فى المكان حتى تدل جهة الصوت على مكانه – تعالى عن ذلك علواً كبيراً. فكلامه **(بلا أزمان)** ، فكلامه تعالى – وسائر صفاته – أزلى وأبدى، أى لا يسبقه صمت أو سكوت ماضٍ، و لا يعقبه صمت أو سكوت حاضر أو مستقبل. فكلامه سبحانه وتعالى لسيدنا موسى عليه السلام معناه أنه تعالى أزال المانع من سيدنا موسى عليه

السلام حتى سمع كلام الله القديم ثم رد عليه المانع فلم يسمع، وليس معناه أن الله تعالى ابتدأ كلامه لسيدنا موسى عليه السلام ثم انعدم كلامه بعد رد المانع عليه، لأن كلامه تعالى قديم والقديم لا يتبدل ولا يدخل فى الزمان بالبدء والانتهاء.

**أقسام الكلام:** وللكلام قسمان:

أ) كلام نفسى: وهو القائم بالذات وهو ما ليس بحرف ولا صوت وهو قديم ليس بمخلوق.

ب) وكلام لفظى: وهو الدال على النفس.

(قال الشيخ أبو الحجاج:

قراءة الخلق صفات لهم  فوجب حدوثها مثلهم
وقوله المقروء من صفاته  فواجب قدمه كذاته

فالحروف والأصوات إنما هى دالة على كلام الله القديم ، فاللفظ المنزل ليس هو الصفة القائمة بذاته تعالى، بل مدلوله بعض متعلقات الصفة القديمة، وللمعنى القديم مدلولات لا تتناهى لأنه متعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات، فالكتب السماوية دالة على بعض مدلولات الكلام النفسى ولا يحيط بكل مدلولها إلّا الله عز وجل، ولذا قال الله تعالى : ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً﴾ - الكهف: 109، – قاله الشيخ أحمد زروق فى شرحه على متن رسالة ابن أبى زيد القيروانى ، ج 1، ص 35. أى أن كلام الله القديم دل على مدلولات ألفاظ القرءان الكريم وبقية الكتب المنزلة. فالقرءان دال على معانى مدلولة للقديم، فمثلاً (أقم الصلاة) دال على طلب إقامة الصلاة وهو مدلول لكلامه وليس عين كلامه – ذكره العقباوى فى حاشيته على شرحه لعقيدة التوحيد للدردير. فالكلام له تعلق دلالة.

**أنواع دلالة الكلام وأقسام هذه الدلالة:**

أ- **أنواع الدلالة:** وتشمل دلالة أمر، دلالة نهى، دلالة استخبار، دلالة قصص، دلالة أمثال، دلالة بشارة، دلالة نذارة.

ب- **أقسام الدلالة:** وهى كما يلى:

**1- دلالة وضعية:** فكلام الله تعالى القديم دال على مدلولات ألفاظ القرءان الكريم بحسب وضع معانى الألفاظ. فكلام الله القديم النفسى لا يطابق الألفاظ الحادثة، ولكنه يدل على معناها.

**2- دلالة مطابقية:** أو عرفية أو إلتزامية أو عقلية. وهى – مثلاً - مطابقة كلام زيد على كلام عمرو.

وهو سبحانه وتعالى عالم بلا قلب ولا دماغ وعلمه قديم أزلى لا علم متجدد وحاصل بالحلول والانتقال، فعلمه صفة قديمة غير متجزئة ولا مفارقة لذاته، بل هى (مدى الأزمان) أى لم يسبقه خفاء ولا يعقبه نسيان. فمن يعلم مدى الأزمان يعلم بكل ما يشغل حيز الزمن من الحادثات، ولهذا فعلم مولانا عز وجل يشمل الكليات والجزئيات، قال تعالى: ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا فى كتاب مبين﴾ - يونس: 61. فكلامه تعالى وعلمه يعنيان أنه عز وجل على صفة تنكشف بها المعلومات الموجودة والمعدومة، فالكلام والعلم يتعلقان بجميع أقسام الحكم العقلى من واجبات وجائزات ومستحيلات.

**تعلقات الكلام:**

فالكلام له ثلاثة تعلقات:

1- **تعلق تنجيزى قديم:** بذات الله تعالى وصفاته والمستحيلات وأخبار الكائنات قبل إيجادها.

2- **صلوحى قديم**: بتكليفنا قبل وجودنا، أى صلاحيته لخطاب من لم يوجد بعد. ومن هنا يجئ معنى قوله تعالى للشئ المعدوم: (كن فيكون).

3- **تنجيزى حادث**: بعد وجودنا، أى خطابه بالفعل لمن وجد.

**تعلق العلم**: والعلم له تعلق إحاطة وانكشاف لم يسبقه خفاء وهو تعلق **تنجيزى قديم فقط**، وليس للعلم تعلق صلوحى بضد ما سبق فى علمه لكل المعلومات، فلا يتأتى فى العلم الصلاحية لأن من وصفناه بأنه صالح للعلم فقد نفينا عنه العلم عند الوصف بالصلاحية، وهذا يوهم سبق الجهل، كما لا يتأتى فيه الحدوث لاستلزامه الجهل لأننا إن قلنا بالتعلق التنجيزى الحادث فى العلم فهذا يقتضى سبق الجهل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فعلمه تعالى غير حاصل بالاكتساب، "وما ورد ما يوهم اكتساب علمه مؤول، قال تعالى: ﴿ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾ - الكهف: 12. فظاهر الآية أن بإيقاظهم يتجدد علم الله، وحاصل التأويل أن تقول: إن قوله (لنعلم)، أى: لِيَظْهَر لهم مُتَعَلَّق علمنا، أى: لنُعْلِمهم، واللام للعاقبة والفائدة، لا للعلة" – ذكره الصاوى فى شرحه على جوهرة التوحيد، ص 179.

**أقسام المعلومات من حيث الوجوب والاستحالة والجواز:**

والمعلومات على ثلاثة أقسام:

أ- **واجب**: هى ذات الله تعالى وصفاته.

ب- **مستحيل**: مثل الشريك والولد والنقائص فى حق مولانا عز وجل.

جـ- **جائز**: كذواتنا وصفاتنا وأسمائنا.

**أقسام المعلومات من حيث العدم والوجود:**

وهذا القسم على قسمين:

**أولاً** : معلوم **موجود**: وهو على قسمين:

1- **قديم**: هما ذات الله تعالى وصفاته.

2- **حادث**: كذواتنا وصفاتنا وأسمائنا.

**ثانياً** : معلوم **معدوم**: وهو أيضاً على قسمين:

أ- **مستحيل**: كالشريك والولد والنقائص فى حق الله تعالى.

ب- **جائز**: كالممكنات الثلاثة المعدومة. وهذه تقبل الإيجاد والعدم – كما مر بنا فى الحديث عن تعلق القدرة بالممكنات.

**أدلة الكلام:**

1- الدليل القرءانى على الكلام قوله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ - التوبة: 6، وقوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ - النساء: 164.

2- ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من رجل إلّا سيكلمه ربه يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان" – أخرجه الترمذى، أبواب صفة القيامة، ج 4، ص 35، الحديث رقم 2529.

3- ومن العقل لأنه لو انتفى عنه الكلام لعد ذلك نقصاً ومحال عليه تعالى النقائص والعيوب.

**أدلة العلم:**

1- الدليل القرءانى على العلم قوله تعالى: ﴿والله بكل شئ عليم﴾ - التغابن: 11.

2- ومن السنة عده صلى الله عليه وسلم (العليم) من أسماء الله الحسنى – أخرجه الترمذى، أبواب الدعوات، ج 5، ص 192 ، الحديث رقم 3574.

3- والدليل العقلى لأنه لو انتفى عنه العلم لما وجدت الحادثات.

ثم حدد الناظم **مطالب صفات المعانى**، فقال:

**لها سبع المطالب كان وجودها فى صفات (سَلَبَنْ)**

إن صفات المعانى المتقدم ذكرها (القدرة، الإرادة ، السمع، البصر، الكلام، العلم)، لكل واحدة منها سبعة مطالب موجودة فى الصفات السلبية (**فى صفات سَلَبَنْ**).

فالقدرة – مثلاً – نجد مطالبها فى أن تشهد وتعتقد أن قدرة الله عز وجل (موجودة) و (واحدة) و (قديمة) و (باقية) و (مخالفة للحوادث) و (قائمة بذات الله تعالى) بمعنى أنها غنية عن المخصص وعامة التعلق بجميع الممكنات. وقس على ذلك بقية صفات المعانى التى لا تختلف إلا فى التعلقات.

فوحدانية القدرة والإرادة تعنى نفى الكم المتصل فى صفتى القدرة والإرادة، وهكذا لبقية الصفات. ويعنى ذلك أنه لا توجد إرادتان، لأن الإرادتين إذا توجهتا فإما أن يقدر نفوذ مرادهما الاثنين معاً وكلاهما محال إذ لا يجتمع مؤثران متضادان على أثر واحد، فهذا باطل.

وإما أن يقدر عدم نفاذ كل منهما وهو باطل لما يلزم عليه العجز.

وإما أن يقدر نفاذ أحدهما وهو باطل لأن فيه عجز الآخر للماثلة. وقس على ذلك سائر صفاته تعالى.

فعلمه تعالى واحد لا يتعدد فيختلف، ولكن تعلقه بجميع المعلومات يعنى أن معلوماته تعالى كثيرة ومختلفة ومتنوعة، فالكثرة للمتعلقات وهى المعلومات وليس للعلم وهذا معنى قولهم: "اللهم صل على سيدنا محمد عدد علمك" – أفاده العقباوى فى حاشيته، ص 32.

وقال الناظم:

**حياة بل سواه الفان ولا تعلق لها أبداً**

الحياة هى صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى تصحح له الاتصاف بالقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والكلام، فلو لم يكن تعالى حياً لما ثبتت له هذه الصفات.

قال تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ - البقرة: 255. فهو سبحانه وتعالى حى أزلاً، لا بداية لأوليته ولم يسبق وجوده زمان.

وقال تعالى: ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ - الرحمن: 26، 27. فهو سبحانه وتعالى حى أبداً، لا نهاية لآخريته.

والحياة لها ستة مطالب كالسابق ذكرها فى مطالب القدرة والإرادة مثل الوحدانية والقدم وغيرها من صفات السلوب. غير أن الحياة لا تتعلق بشئ **(لا تعلق لها أبداً)**، أى هى لا تطلب غير قيامها بالذات. فليست الحياة من صفات التأثير كالقدرة والإرادة اللتين تطلبان القيام بالممكن، أى لهما تعلق بالممكن؛ كما أنها (أى الحياة) ليست من صفات الانكشاف كالسمع والبصر والعلم، ولا من صفات الدلالة كالكلام. بل هى شرط فى جميع صفات المعانى، بمعنى أنها صفة أزلية تصح لمن قامت به أن يتصف بصفات المعانى ويلزم من عدمها عدم الإدراك ولا يلزم من وجودها وجود الإدراك ولا عدمه، هذا بالنسبة إلى المخلوقين وأما الإدراك فى حق الله تعالى فواجب لقيام الأدلة عليه. وحياة الله تعالى أزلية لا بروح، بخلاف حياة الحادث فإنها بالروح.

**أدلة الحياة:**

1- الدليل القرءانى على حياة المولى عز وجل قوله تعالى: ﴿وتوكل على الحى الذى لا يموت﴾ - الفرقان: 58.

2- والدليل من السنة قول النبى صلى الله عليه وسلم: "لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد، يحى ويميت، وهو حى لا يموت" – أخرجه الترمذى، أبواب الدعوات، ج 5، ص 155، الحديث رقم 3489.

3- والدليل العقلى أنه لو انتفت عنه الحياة لما وجدت الحادثات.

وختم الناظم صفات المعانى قائلاً:

**فإن السبع هذى معان قيام معناها بذات الله**

إن هذه الصفات السبع تسمى المعانى، وسميت بالمعانى لأنها أثبتت لله تعالى معانى وجودية لائقة بكماله قائمة بذاته، أى ليست سلبية، أى أن كل واحدة منها لها معنىً قائم بذات الله تعالى وزائد على الذات العلية، أى ليست نفسية. فحقيقة صفات المعانى هى الصفات الوجودية، لأنها متحققة باعتبار نفسها، أى ليست مكتسبة ولا حادثة ولا مفتقرة إلى غيرها، أى هى كل صفة موجودة فى نفسها قائمة بموجود أوجبت له حكماً، والمراد بالإيجاب التلازم، أى لازمت حكماً له.

ثم تحدث الناظم عن الصفات المعنوية للمولى عز وجل فقال:

| | |
|---|---|
| **صفاته المعنوية تفيدْ** | **قيامها بمعانيها** |
| **كونه قادراً ومريدْ** | **سميع وبصير بخافيها** |
| **متكلم عالم وعلمه تليد** | **بلا كيفٍ ولا جِهةْ** |
| **كونه حى صفات السيد** | **تنزَّهَ عن شبيهِ لها** |

إن هذه الصفات كونه (**قادراً، مريداً، سميعاً، بصيراً، متكلماً، عالماً، حياً**) تسمى الصفات المعنوية لأنها فرع من صفات المعانى، فهى لازمة للمعانى قائمة بقيامها. فهو عز

وجل قادر بالقدرة، مريد بالإرادة، سميع بالسمع، بصير بالبصر، متكلم بالكلام، عالم بالعلم، وحى بالحياة. فالكون فى عبارة (**كونه**) هو الثبوت، فكونه قادراً حال ثابتة واجبة للذات؛ لما قامت القدرة بذات الله تعالى وجب وصفه بكونه قادراً، وهكذا لبقية الصفات.

وحكمة ذكر هذه الصفات المعنوية مع كونها داخلة فى صفات المعانى هى:

أ- فيه ذكر العقائد على وجه التفصيل، لأن خطر الجهل فيها عظيم.

ب- فيه الرد على المعتزلة، فإنهم انكروها، فقالوا: إنه تعالى قادر بذاته ومريد بذاته من غير قدرة ولا إرادة.

وهكذا إلى آخر الصفات.

وذكر الناظم (**خافيها**) أى خفيات الأمور لأن من يعلم الخفى كان من باب أولى أن يعلم بالعظائم من الأمور، هذا فى حكم البشر، أما فى حكم المولى عز وجل فلا شئ أهون عليه من شئ فهو قادر بقدرة واحدة، وسميع بسمع واحد كما مر علينا سابقاً فى الحديث عن وحدانية صفاته تعالى. قال تعالى: ﴿إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلّا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾ - غافر: 56. هذا يفيد أن الله تعالى سميع لجدالهم بألسنتهم كما أنه سميع للحديث الذى يدل على كبرهم وغرورهم، ذلك الحديث الصادر من قلوبهم حيث لا صوت ولا لسان، فدل على أن الله عز وجل سميع بلا جارحة؛ وعليم بالدقائق والجزئيات.

وقول الناظم: (**علمه تليد**) يعنى أن علمه تعالى قديم، والقدم ثابت لكل صفات مولانا عز وجل. أما قوله: (**بلا كيف ولا جهة**) فقد ذكرهما على سبيل المثال لإفادة مخالفته تعالى للحوادث، فالحوادث تحصرها الكيفيات والجهات. أما المولى عز وجل تنزه عن شبيه له فى صفاته وأفعاله وذاته؛ قال تعالى: ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ - الشورى: 11.

**الفرق بين صفات المعانى والصفات المعنوية:**

والفرق بين صفات المعانى والمعنوية هو أن المعانى وجودية تعقل ذهناً وخارجاً، والمعنوية ثبوتية تعقل ذهناً لا خارجاً – ذكره فى شرح السنوسية، ص 22.

(وصفات المعانى أصل للصفات المعنوية لأن الاتصاف بالمعنوية فرع الاتصاف بالمعانى باعتبار التعقل لا باعتبار التأخر والزمان، فاتصاف محل من المحال بكونه قادراً فرع عن قيام القدرة به؛ فالصفات المعنوية هى آثار ناشئة من صفات المعانى) – ذكره العلامة ميارة فى شرحه على منظومة عبد الواحد بن عاشر، ص 40.

وأما **الجائز فى حقه تعالى** فقد ذكره الناظم بقوله:

**وكل ممكن بلا تحديد  يجوز يفعل وخليها**

فيجوز فى حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه (**خليها**). والفعل يشمل وجهتى الإيجاد والإعدام. والدليل على ذلك المشاهد، فإننا نشاهد ممكنات وجدت وانعدمت، فلو كانت مستحيلة عليه سبحانه وتعالى لما وجدت، ولو كانت واجبة الوجود لما انعدمت. فهذا دليل الجواز.

وعبارة (**بلا تحديد**) تفيد أنه لا ضابط لإرادته ومشيئته. فهو يفعل ما يشاء؛ قال تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ – القصص: 68، قال تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ – الأنبياء: 23. وقصد الناظم بعموم (**كل**) و(**بلا تحديد**) جواز فعل كل الممكنات من خير أو شر، صلاح أو فساد، وفى هذا رد على المعتزلة القائلين بأنه وجب على الله فعل الصلاح والأصلح، وقولهم أنه تعالى لا يفعل الشر ولا القبائح – تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. فهم يرون أن الفساد والصلاح من محض فعل العبد، ولا تعلق لإرادة الله فى ذلك، إذ ينكرون أصلاً صفات المعانى كلها. فقولهم هذا يقارب قول من يقول بإله للخير وآخر للشر. أما قوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة

فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ – النساء: 79، فتأويله بسبب كسبك، ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ – الشورى: 30، وعلى العموم فإن قضية الكسب – بهذا الطرح الفكرى المعتزلى – توشك أن تكون من باب الحديث فى القدر الذى نهينا عن الخوض فيه بغير علم، روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من تكلم فى شئ من القدر سئل عنه يوم القيامة، ومن لم يتكلم فيه لم يسأل عنه" – أخرجه ابن ماجة فى سننه، 10 باب فى المقدمة، ج 1، ص 33، الحديث رقم 84. كما روى أنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يختصمون فى القدر، فكأنما فقأ فى وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: "بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم ؟ تضربون القرءان بعضه ببعض. بهذا هلكت الأمم من قبلكم". – أخرجه ابن ماجة فى سننه، 10 باب فى المقدمة، ج 1، ص 33، الحديث رقم 85. وروى أنه قيل لابن عباس: "إن ناساً يقولون: إن الشر ليس بقدر، فقال ابن عباس: فبيننا وبين أهل القدر هذه الآية: ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذَّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلّا الظن وإن أنتم إلّا تخرصون * قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾- الأنعام: 148، 149 " – المصنف، لعبد الرزاق الصنعانى، ج 11، ص 114، الحديث رقم 20073. كما يصح معنى أن الممكنات لا ضابط لها ولا حصر، فهى تدخل فى علم الله الواسع؛ قال تعالى: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ - النحل: 8.

ثم قال الناظم:

**ومن المستحيل وبعيد  عكس ما جاء فى أعلاه**

كلمة **(من)** التبعيضية تدل على أن المستحيلات فى حقه تعالى لا نهاية لها، فكل ما قدره العقل من نقص يستحيل على الله تعالى، فيجب علينا نفيه عموماً، وإنما الواجب علينا تفصيلاً أضداد العشرين الواجبة المتقدمة.

يستحيل فى حقه تعالى نفى ما جاء فى الصفات السلبية وصفات المعانى والصفات المعنوية سالفة الذكر **(ما جاء فى أعلاه)**. فيستحيل فى حقه تعالى أضداد الصفات المذكورة أعلاه، أى يستحيل فى حقه عز وجل العدم؛ التعدد أو عدم الوحدانية؛ التجدد أو الحدوث؛ الفناء أو طرو العدم؛ المماثلة للحوادث بأن يكون جرماً أى تأخذ ذاته قدراً من الفراغ أو يتقيد بمكان أو زمان أو يكون عرضاً يقوم بالجرم؛ الافتقار إلى المحل أو المخصص فيستحيل فى حقه تعالى أن لا يكون قائماً بنفسه بأن يكون صفة يقوم بمحل أو يحتاج إلى مخصص؛ العجز، أى العجز عن ممكن ما؛ الكراهية (بمعنى الإكراه على فعل شئ) وهى إيجاد شئ من العالم مع كراهته لوجوده، أى عدم إرادته له؛ الصمم؛ العمى؛ البكم؛ الجهل وما فى معناه كالشك والذهول والغفلة والنسيان؛ الفناء أو الموت؛ وكونه تعالى عاجزاً؛ مكرهاً؛ أصم؛ أعمى؛ أبكم؛ جاهلاً؛ وميتاً. فكل ذلك يستحيل فى حقه تعالى.

**ملخص الصفات:**

فهذه **عشرون صفة** خلاصتها كالآتى:

* **صفة نفسية واحدة:** وهى (الوجود)، وهى أيضاً صفة سلبية.
* **خمس صفات سلبية أخرى:** وهى: (الوحدانية، القدم، البقاء، المخالفة للحوادث، القيام بالنفس).

* **سبع صفات معانى:** وهى: (القدرة، الإرادة، العلم، الحياة، السمع، البصر، الكلام).
* **سبع صفات معنوية:** وهى فروع من صفات المعانى، وهى كونه تعالى: (قادراً، مريداً، عالماً، حياً، سميعاً، بصيراً، ومتكلماً).

وهذه الصفات هى الواجبة فى حق مولانا عز وجل. فهى عشرون صفة فى قول الناظم:

**صفات مولانا بالعشرين  صفات المفرد الواحد**

وعلى عادة نظم العلماء ختم الناظم قصيدته بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والدعاء، فقال:

**صلاة وتسليم على القرشى  وآل وايضاً الصحب**

كما تبدأ القصيدة بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كذلك تختتم بالصلاة عليه رجاء قبول ما بينهما لحديث: "إذا سألتم الله عز وجل حاجة فابتدئوا بالصلاة علىَّ فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى أحدهما ويرد الأخرى" – أورده الغزالى فى الإحياء، ج 3، آداب الدعاء، ص 166. وهو صلى الله عليه وسلم النبى القرشى الهاشمى نسباً. وتشمل الصلاة والسلام آله وقرابته. والآلية تتضمن – بجانب آلية النسب وعترة العصبية – آلية العمل والتقوى وذلك لحديث: "سلمان منا أهل البيت" – أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد، كتاب المغازى والسير، باب غزوة الخندق وقريظة، ج 6، ص 137، الحديث رقم 10137؛ وعن سيدنا أنس ابن مالك رضى الله عنه، قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من آل محمد ؟) فقال: "آل محمد كل تقى"، وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إن أولياؤه إلّا المتقون﴾ - الأنفال: 34 " – أخرجه الطبرانى فى الأوسط، ج 4، ص 35، الحديث رقم 3332. كما تشمل الصلاة صحابته الذين آمنوا به وجرى توحيد الله تعالى فيهم مجرى الدم.

ثم عدد الناظم مقدار الصلاة عليه فقال:

**بِعَدّ مَنْ يقرأ بالورشى  وبالبرزنجى والعزبى**

الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعدد الذين يتلون القرءان الكريم برواية ورش الذى هو أبو سعيد عثمان بن سعيد المصرى أحد أئمة القراءات عن نافع ابن أبى نعيم بالمدينة المنورة. والمقصود كل قراءات القرءان الكريم وذكر **(ورش)** جاء على سبيل النموذج منها وعلى سبيل ضبط النظم وفاصلة الشطرة الأولى للبيت.

أما **(البرزنجى)** فهو كناية عن كتاب قصة المولد النبوى الشريف المسمى **(عقد الجوهر فى مولد النبى الأزهر** صلى الله عليه وسلم) والذى ألفه الإمام جعفر بن حسن **البرزنجى**، وهو كتاب مشهور فى بلاد السودان. وأما **(العزب)** فهو أيضاً كناية عن كتاب قصة المولد النبوى الشريف الذى ألفه الشيخ / محمد بن محمد **العزب**، وهو كتاب مشهور فى بلاد اليمن، وقد ألفه صاحبه نظماً يبدأ كالآتى:

الحمد لله الذى قد أوجد  من نوره نوراً به عم الهدى
سبق العوالم فى الوجود بأسرها  فالكل منه فى الحقيقة مبتدا
أعنى بذلك نور من ساد الورى  وزكت عناصره الشريفة مَحْتِدا
المصطفى خير الخلائق من سما  وعلا على فلك السيادة سؤددا

وهنا أيضاً المقصود كل كتب السيرة النبوية الشريفة، وما كتابا **(البرزنجى)** و **(العزب)** إلّا مثالان منها. ونلمح هنا تعداد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بالقرءان الكريم وفيه صفات الله تعالى والتوحيد، وفى هذا يكمن الشق الأول من شهادة الإسلام (لا إله إلّا الله)؛ ثم يجئ مقدار الصلاة وتعدادها بكتب السيرة النبوية ممثلة فى كتابى **(البرزنجى)** و

(**العزبى**)، وفى ذلك يكمن إكمال شهادة الإسلام (**محمد رسول الله**)، وبهذا يكتمل التوحيد الذى هو مدار القصيدة كلها.

ثم قال الناظم:

**تزيد لإخوتى وعيشى  ود الكبيدة نال إرب**

يرجو الناظم زيادة الإخوة عدداً وعتاداً، زيادتهم الروحية فى أنفسهم وزيادتهم العددية من حوله. والمقصود إخوة النسب وإخوة التقوى ورفقة الطريق.

كما يرجو الناظم إكثار العيش (الذرة) وهو كناية عن الرزق الدنيوى، ويشمل الطلب كل ما به العيش والحياة الهنية وعلى رأسها الحياة الطيبة التى تبنى على الإيمان وزاد التقوى.

و(**ود الكبيدة**) لقب لناظم القصيدة وشارحها وهو الفقير إلى الله تعالى "**عبد الرحمن محمد عبد الماجد**". فالناظم يروم تحقيق الإرب وبلوغ المرام – مطلق المرام من حسى ومعنوى.

ويدخل فى المرام تفصيلاً وتعييناً الآتى:

**أخرجها ليروى من عطش  لعلم الكسب والوهب**

روى الناظم هذه القصيدة بغية أن ينال الارتواء من تعطشه للعلم المكتسب والعلم اللدنى.

فمعرفة الله عز وجل كسبية ووهبية. فالكسبية تنال بالتَّعَمُّلِ، أى بإعمال الفكر والمطالعة والتفكر فى مخلوقاته تعالى، وبواسطة ذكر الله وتلاوة القرءان الكريم والأذكار حتى تهب على الذاكر رحمة المولى سبحانه وتعالى وفتوحات العلم التى هى خواطر معرفية تهجم على قلب الذاكر بلا سبب ولا تعمل، وهذه الفتوحات هى المعرفة اللدنية الإلهامية والوهبية،

وهى أصل العلم لأن الله تعالى علم أبانا آدم عليه السلام الأسماء بلا مدارسة أو جهد تعليمى من جهة آدم، مثلما علم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علم الأولين والآخرين بلا سابقة تعلم ولا مطالعة فى كتاب؛ فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "رأيت ربى فى أحسن صورة قال: فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت: أنت أعلم يا ربِّ، قال: فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى، فعلمت علم ما فى السماوات والأرض، وتلا قوله ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾ – الأنعام: 75" – أخرجه الدارمى فى سننه، ج 1، كتاب الرؤيا، 12 باب فى رؤية الرب تعالى فى النوم، ص 606، الحديث رقم 2149. وربما يراد بعلم الكسب علم الرواية، وبعلم الوهب علم الدراية، وقد يراد بالعلم الكسبى علم الشريعة والأصول، وبالعلم الوهبى علم الحقيقة والوصول.

"حكى الإمام المحقق ابن عرفة المالكى الإجماع على أن علم الشرائع لا يكون إلّا بالتعلم، وأما الذى يعلمه لأوليائه فهو الإلهامات والأنوار والمعارف التى لا يمكن أن تحصل بسبب بل بمحض فضل الله ومنته والله أعلم" – ذكره صاحب الفتاوى الحديثية، ص 128.

ثم استطرد الشاعر متضرعاً إلى ربه عز وجل:

**نوحد دونما غش  ونسير بشرع خير نبى**

أى نبلغ درجة التوحيد الصادق الذى لا خداع فيه، لأن الدين يقوم على الصدق، قال تعالى: ﴿هذا يومُ ينفع الصادقين صدقُهم﴾ - المائدة: 119. وفى الحديث النبوى الشريف: "إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقاً" – أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم النميمة، ج 4، ص 2012، الحديث رقم 102 (2606). وسادتنا الصوفية يقولون: "الطريق لمن صدق لا لمن سبق"، أى أن ثمار الطريق الصوفى يجنيها من صدق فى سيره الروحى لا لمن له السبق فقط إن كان هذا السابق لا صدق له فى سلوكه. وقال العارفون: "العالَمون كلهم

هلكى إلّا العالِمون والعالِمون كلهم هلكى إلّا العامِلون والعامِلون كلهم هلكى إلّا المخلِصون و المخلصون على خطر عظيم".

والسير (**بشرع خير نبى**) هو مجانبة البدع والسير على حسب منهج شريعة الإسلام، أى بمقتضى القرءان الكريم وسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو خير الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وختم الناظم قصيدته بطلب الجد والكدح فى السير إلى الله، كما دعا لرفعة الإسلام، فقال:

**نجدّ لله دوام نمشى  والإسلام يزيد فى علاه**

قوله (**نجد**) أى نسير بهمة عالية وبجد واجتهاد؛ وفى هذا إشارة إلى أن السير لله تعالى يقوم على الجهاد الذى يثمر الهداية، قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ – العنكبوت: 69. وفى المثل: (مَنْ كَدَّ وجد، أو مَنْ جَدَّ وجد) ويقول الصوفية: (جاهد تشاهد)، والجهاد إنما يكون فى سبيل الله، أى يكون الجهاد لوجه الله تعالى (نجد لله). ومن جاهد نفسه وأخلص العبادة لله أجادها وأحسن وكان فيها مع الله، فبلغ فيها مقام الإحسان، عرف بها سبل الخير وكان الله معه ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ - العنكبوت: 69. فمن جاهد شاهد، أى شاهد وحدانية الله، أى ذاق معانى التوحيد بقلبه وبصيرته. و(**دوام**) تفيد المداومة على الطاعات والتقرب إلى الله عز وجل، والمداومة على نوافل العبادة تكون بحسب استطاعة العبد، قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ - التغابن: 16. وفى هذا المعنى روى الحديث الشريف: "وأحب العمل إلى الله عز وجل ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ" – أخرجه الإمام أحمد فى مسنده، من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها، ص 1899، الحديث رقم 6 / 199، 26150 (25632). أما أركان الإسلام

من شهادة وصلاة وصيام رمضان وزكاة وحج فالمداومة عليها بمقاديرها المكتوبة فرض لا يتخلف عنه المسلم طيلة حياته، فلا تُرْفَعُ هذه العبادات عن أحد، ولكن تزول المشقة فى أدائها عمن قام بها على أكمل وجه ولمن داوم عليها ووطَّنَ نفسه عليها، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول لسيدنا بلال رضى الله عنه: "يا بلال أَقِمْ الصلاة أَرِحْنا بها" – أخرجه أبو داؤود فى سننه، كتاب الأدب، 86 باب فى صلاة العتمة، ص 735، حديث رقم 4985، أى روِّح نفوسنا واحْدُها بها لبارينا، لا أرحنا منها.

ثم دعا الناظم بالرفعة والسمو للإسلام والمسلمين؛ وعلو المسلمين يعنى زيادة إيمانهم ونصرتهم وإعلاء كلمتهم، قال المولى عز وجل: ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ – آل عمران: 139.

تم بحمد الله تعالى وفضله شرح قصيدة: "**النظم الفريد فى علم التوحيد**" فى 22 نوفمبر 1997م.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين.

## تقريظ شيخ الحلقة العلمية الأدهمية بالخرطوم

## الشيخ / دياب أحمد دياب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أما بعد فقد اطلعت على القصيدة التوحيدية التى نظمها الأستاذ عبد الرحمن محمد عبد الماجد وقام بشرحها نثراً أيضاً. وحقاً فقد سررت بها كثيراً لما اشتملت عليه من فوائد جليلة أيضاً امتازت بالأدلة النقلية من السمع فجزى الله الأستاذ عبد الرحمن خير الجزاء وأثابه على هذا الصنيع وحشره فى زمرة العلما الذين يعملون بعلمهم وبارك فى أيامه ووفقه لبذل المزيد من مثل هذه الدرر وخاصة فى مجال التوحيد ونفع بهذه الدرر الفريدة كل من اطلع عليها وجعل ذلك ثواباً مدخراً للمؤلف. والله الموفق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

26 صفر 1419هـ

21/ 6 / 1998م الأدهمية الخرطوم دياب أحمد دياب.

## صورة تقريظ الشيخ دياب

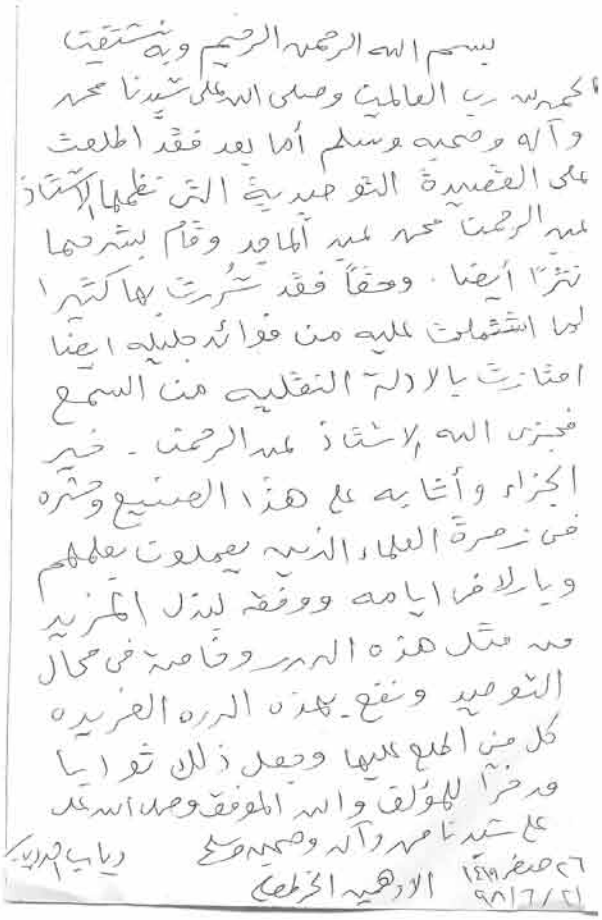

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم أما بعد فقد اطلعت
على القصيدة التوحيدية التي نظمها الأستاذ
عبد الرحمن محمد عبد الماجد وقام بشرحها
نثراً أيضاً . وحقاً فقد سررت بها كثيرا
لما اشتملت عليه من فوائد جليلة ايضا
امتازت بالأدلة النقلية من السمع
فجزى الله الأستاذ عبد الرحمن . خير
الجزاء وأثابه على هذا الصنيع وحشره
في زمرة العلماء الذين يعملون بعلمهم
وبارك في أيامه ووفقه لبذل المزيد
من مثل هذه الدرر وخاصة في مجال
التوحيد ونفع بهذه الدرة الفريدة
كل من اطلع عليها وجعل ذلك ثوابا
وذخراً للمؤلف والله الموفق وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

٢٦ صفر ١٤١٩ | دياب محمد دياب
٢١/٦/٩٨ | الازهري الخرطوم

## مسرد المحتويات


خطبة الكتاب ..... 5

الحكم العقى وأقسامه ..... 8

نص القصيدة ..... 13

شرح القصيدة ..... 15

شرح عبارة شهادة الإسلام ..... 15

بيان صفات مولانا عز وجل ..... 23

الصفات السلبية : الوجود وأقسامه وأدلته الكتاب..... 23

الوحدانية وأدلتها ..... 27

القدم والبقاء وأدلته ..... 31

مخالفة الحوادث والقيام بالنفس ..... 32

مشكلات التوحيد ومتشابهاته ..... 35

معنى الصفات السلبية ..... 36

صفات المعانى : القدرة والإرادة وأدلتهما ..... 37

المتقابلات ..... 37

السمع والبصر وأدلتهما ..... 43

الكلام والعلم وأدلتهما ..... 45

أقسام الكلام ودلالته ..... 46

مطالب صفات المعانى..... 49

الصفات المعنوية : (كونه تعالى قادراً ، مريداً ، عالماً ، حياً ، سميعاً ،

بصيراً ، متكلماً) ..... 52

الفرق بين صفات المعانى والصفات المعنوية ..... 54
الجائز فى حقه تعالى ..... 54
المستحيل فى حقه تعالى ..... 56
ملخص الصفات ..... 56
ختام القصيدة بالصلاة على النبى ﷺ والدعاء ..... 57
تقريظ الشيخ دياب "شيخ حلقة الأدهمية بالخرطوم" ..... 63
صورة تقريظ الشيخ دياب ..... 64

## الكاتب فى سطور:

**الإسم**: عبد الرحمن محمد عبد الماجد ( ود الكبيدة )

**الميلاد** : طيبة الشيخ القرشى ود الزين ( غرب الحصاحيصا ) ١٩٥٢م

**النشأة** : ود الخبير ( شرق رفاعة / البطانة )

**التعـــــليم** : * بكالريوس إدارة الأعمال - كلية الإقتصاد - جامعة الخرطوم ١٩٧٨م

* دبلوم تدريس اللغة الإنجليزية معهد تدريب المعلمين - أمدرمان ١٩٨٢م

**الحياة العملية**: * عمل معلماً بالمرحلة الإبتدائية بجبال الإنقسنا ( جنوب النيل الأزرق ) ١٩٧٣م

* عمل معلماً بالمرحلة الثانوية منذ ١٩٧٨م وحتى عام ٢٠٠٥م ثم تقاعد إختيارياً عن الخدمة المدنية.
* يقوم حالياً بالإشراف على مسجد وخلوة الشيخ دفع الله الصائم ديمه بالخرطوم - السلمة.

**مؤلفـــــاته** : * رحيق اللارنج فى شرح البرزنجى

* الإعلام عند الصوفية
* الدر المنظوم فى مدح الرسول ﷺ والقوم ( ديوان شعر )
* إطلالة على أطلال ( ديوان شعر )
* وقع على إيقاع ( ديوان شعر )
* وهذا الكتـاب (النظم الفريد فى علم التوحيد)

**وتحت الطبع** : * قطب الشريعة والحقيقة الشيخ دفع الله الصائم ديمه

* إعجاز القرءان العزيز للغة الإنجليز
* منهل الخواص من سورة الإخلاص